دردشة معلنة

حوارات

اعداد و ترجمة:

أمل فارس

أمل فارس

دردشة معلنة

حوارات

دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة©

إهداء:

إلى أبي وأختي اللذين لن يتمكنا من قراءة كتابي...

أمل

المقدمة

جمعت في هذا الكتاب عدداً من المقابلات لأحد أشهر أدباء وشعراء أمريكا اللاتينية، وأمريكا الإسبانية (وهي مجموع عشرين دولة منها الأرجنتين – بنما – إكوادور – بورتو ريكو – فنزويلا – كولومبيا) منهم من فارقنا تاركا إرثاً أدبياً عظيماً، ومنهم ما زال معنا إلى اليوم يغنينا بإنتاج فكره الذي لا ينضب. في الكثير من الأحيان ما نعرفه عن كتّابنا المفضلين ممن أثرت فينا روائعهم، وكان بعضها بدون مبالغة سبباً في تغيُّر حياتنا، كنا قد قرأناه في بعض السطور المتفرقة هنا وهناك، ولكن يبقى دائماً الاتصال المباشر، أو لنقل رؤية هؤلاء المبدعين والاستماع إليهم يتحدثون عن تفاصيل حياتهم ويطرحون أفكارهم بعفوية وصراحة، هو أمر في غاية الأهمية، فهو يساهم في تسليط الضوء على زوايا معينة من شخصياتهم وأفكارهم وتفاصيل حياتهم لم يتم التطرق إليها في السابق. ولأنني أردت الاقتراب أكثر منهم، فقد قمت بمشاهدة مقابلاتهم المصورة وترجمت بعضاً منها لأشارك القارئ بمتعة اكتشاف المزيد حول كتّاب أثروا في القراء، ليس فقط على صعيد أمريكا اللاتينية، بل على امتداد العالم أجمع.

«المترجم كالشاهد الذي يستدعى إلى المحكمة؛ عليه

أن يقسم على أن يقول الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة».

الشاعر والمترجم الأمريكي هنري وادزورث

مقابلة خوسيه ساراماغو

مع المقدم خوسيه دي ساوسا

خوسيه ساراماغو (José Saramago)

هو أول كاتب برتغالي يفوز بجائزة نوبل للآداب، ولد عام 1922 في قرية صغيرة لعائلة فقيرة. المكاتب العامة والحياة هي الجامعة التي تخرج منها ساراماغو، فهو لم يتمكن من الحصول على كتاب واحد ليقرأ فيه حتى سن الثامنة عشرة، وكان ذلك لسوء الظروف المادية لعائلته. سيتحدث لنا هنا عن مواضيع كثيرة، عن الموت والتمرد وعن الجائزة التي نالها من بين

مواضيع أخرى، توفي ساراماغو في العام 2010.

أجريت المقابلة في العام 2005.

ما هو الموت بالنسبة إليك؟

لدينا القناعة بتخيّل الموت كشيء خارج عنا، لكن ذلك غير صحيح، فموت كل واحد منا يولد مع ولادتنا ونحمله داخلنا. يمكننا البقاء بصحة جيدة حتى عمر الخمسين أو الستين أو إلى الثالثة والثمانين مثلاً كما هو عمري الآن، بدون أي مشكلة، لكن الموت يختبئ هناك في الأعماق حتى يأتي اليوم الذي يصبح فيه لذلك الموت اسم، فهو يتقمص اسم الشخص الذي كان مختبئاً في داخله، وعندها نعرف من يكون. لكننا ننتقم من هذا الموت أيضاً، وانتقامنا يتمثل في أننا حينما نفارق الحياة نأخذ موتنا معنا، فهو في النهاية لا يقتل أحداً سوانا.

هل فقدت نوعاً من الحرية بعد تسلمك لجائزة نوبل؟

لا، لم أخسر حريتي، بل على العكس من ذلك؛ فأنا الآن أستطيع قول كل ما أفكر فيه بشكل صريح. هذا لا يعني أنني لم أفعل ذلك في السابق، لكن عدد الأشخاص الذين كانوا يستمعون إليّ كان أقل بكثير مما هو الآن. ما فقدته حقيقة بعد تسلمي الجائزة هو إمكانية التخفي والانعزال، ذاك ما خسرته إلى غير رجعة.

وهل تفتقدها، أقصد خاصية التخفي؟

أجل، في بعض الأحيان. لكن في أحيان أخرى لا

أفعل؛ فأن تصبح مشهوراً ومعروفاً من قبل الناس هو أمر محبب ولطيف، حيث يقترب الجميع منك ويشكرونك. ما زلت حتى هذا اليوم أصادف أشخاصاً يعترضون طريقي بلطف لكي يشكروني على كتاباتي التي أثرت فيهم بشكل ما. لكن أحياناً أخرى أفضل ألا يلحظني أحد. جائزة نوبل هي جائزة مهمة بلا شك، لبضعة ملايين من الناس، عدد سكان الأرض حالياً 6 مليارات شخص، والغالبية العظمى لا تعرف من أكون، لكن بالمقابل هناك بضعة ملايين أخرى تعرفني وتحفزني على العطاء.

من الواضح أنك لم تفقد حس التمرد!

بالطبع لا، يوم يحدث لي ذلك سيكون لأنني قد فارقت الحياة.

هل تمردك يرجع لكونك فقير الأصل، وترفض أن تكون غنيا حداثيا؟

لا على الإطلاق، فأنا أعرف الكثير من الفقراء الذين أصبحوا من فاحشي الثراء وتحولوا إلى وحوش شرهين تماماً كأولئك الأغنياء الذين ولدوا أغنياء، بل وتفوقوا عليهم بدرجة السوء. أن تكون فقيراً لا يعني أن تكون إنساناً جيداً، ولا أقول إن الأغنياء جميعهم سيئون، لكنهم يعانون من مرض يدعى المال. لأن المال هو مرض ويمكن أن يكون خطيراً في بعض الأحيان، وبهذا يساهم في تخريب المفاهيم الأخلاقية في الوجود.

لكن ألم تكن لنشأتك في بيئة فقيرة ولظروفك الاقتصادية السيئة في مرحلة المراهقة، أثرٌ في أفكارك؟

أجل، بالطبع. ظروف نشأتي أثرت فيَّ بشكل ما، لكنني لم أنسَ مبادئي لسبب وحيد؛ وهو أنني لا أرغب في نسيانها. يخجل الأشخاص أحياناً من فقرهم، ولدت فقيراً وتنقلت حافياً في بيت جدي التي كانت أرضيته من التراب وسط حي فقير ومعدم. يمكن لآخر أن يخجل من كل هذا، لكنني لا أخجل على الإطلاق من ماضي الفقير، وفي الوقت نفسه لا أتفاخر بذلك، بل هي مجرد إحداثيات لحياتي لا أنساها ولا أريد نسيانها، في النهاية هي قصة حياتي وماضيَ جزء منها.

هل سبق ونال جائزة نوبل أحد المبدعين من غير الحاصلين على شهادات عليا، أم أنك الوحيد الذي استطاع تحقيق ذلك؟

لا أعلم إن كنت حالة فريدة، لكن أستطيع القول إن قلة قليلة ممن لم يملكوا شهادة جامعية استطاعوا نيل هذه الجائزة. لست مسروراً لكوني لم أحصل على أي شهادة جامعية، كنت أتمنى لو أنني دخلت الجامعة، ولكن في الوقت نفسه لا أتفاخر بذلك، كأن أقول للجميع أنا الذي أتيت من لا شيء من القاع وانظروا إلى أين وصلت! أنا شخص غير عادي! كلا، بالطبع، فهذا كلام فارغ. يؤسفني حقاً أن ظروف والدي المادية لم تسمح لي بمتابعة الدراسة، لكن في كل الأحوال وعلى الرغم

من كل المعوقات استطعت الحصول على عمل ومارست الكتابة وما زلت، ونلت جائزة نوبل. في الواقع لم يسألني أحد في الأكاديمية السويدية في ستوكهولم إن كنت قد أنهيت دراستي الجامعية أم لا، كما لو كان شرطاً لازماً لاستلامي الجائزة! مع أنه في الكثير من الأماكن يهتمون جداً بأمر التحصيل العلمي. حسناً، على الجميع أن يلتحقوا بالجامعة لكن لكي يتعلموا حقاً، لأنه وللأسف ليس جميع من يدخلون الجامعات يتلقون العلم، وهذا ليس مسؤولية الشباب إنما مسؤولية النظام العام والأسس التعليمية.

قلت سابقا إن المشكلة الحقيقية تتركز في أنه ما زال هناك أغنياء وفقراء في هذا العالم!

نعم هذه هي المشكلة حقيقة، فما زالت الإنسانية تنتج ثروات هائلة لكنها تتوزع على الشكل الذي نراه حالياً، فلأول مرة في تاريخ البشرية يحاولون صنع عالم للأغنياء فقط، وهذا لا يعني مطلقاً بأن الجميع سيصبحون على درجة واحدة من الغنى، بل يعني توفير كل ما تحتاج إليه الطبقة الغنية على حساب طبقة مسحوقة من الفقراء يزداد العالم إنكاراً وتجاهلاً لها يوم بعد يوم.

إن الفقر وما ينتج عنه من أميّة، وأميّة وظيفية، وهي مشكلة تشغل العديد من الدول حالياً، كإسبانيا والبرتغال وفرنسا حيث قمت مؤخراً بطرح هذه المشكلة في جامعة بورديوس الفرنسية. فلدينا في

البرتغال على سبيل المثال من ضمن كل عشرة ملايين شخص هنالك خمسة ملايين منهم أميون وظيفياً، أي ما يعادل نصف عدد السكان. ومفهوم الأمية الوظيفية يعني عجز الأشخاص عن كتابة بضعة أفكار مترابطة على الرغم من إتقانهم للقراءة والكتابة. الإحصائيات تقول بأنهم ليسوا أميين، لكنهم كذلك في حقيقة الأمر. في فرنسا مثلاً هم أكثر من 20 مليون شخص، وإذا نظرنا إلى انعكاسات هذه المشكلة على مضمار آخر كالديمقراطية على سبيل المثال، أتساءل حقاً بأي ضمير سياسي يقدم المرشحون على طلب أصوات ناخبين ليس في استطاعتهم فهم البرنامج الانتخابي لذلك الحزب؟ بأي ضمير سياسي يفعلون هذا إذا كان هؤلاء لا يدركون معنى برنامجهم السياسي؟ وإذا أدلوا بأصواتهم فعلاً فسيكون ذلك لأسباب ليس لها علاقة بضمير المواطنة ولا بالضمير القومي ولا بالبرنامج السياسي، بل غالباً ما تكون لأسباب بعيدة تمام عن ذلك ربما تتعلق بشكل المرشح أو لمنفعة شخصية وآنية. وإذا تابعنا طرح الديمقراطية في مناخ كهذا فأنا أتساءل حقاً ماذا ستكون النتيجة، ولا أقصد التنظير هنا، لكن أعتقد أن ما ينقصنا هو مواجهة مثل هذه المشكلات الحقيقية.

لكن ألست - اجتماعيا - أقرب إلى شريحة الأغنياء منك إلى الشريحة الفقيرة؟

اجتماعياً ربما، لست فاحش الثراء ولكن ليس لديَّ ديون على الأقل، وأعيش حياة هادئة. ضمن شخصيات

رواياتي لا يوجد غني واحد، لسبب بسيط وهو أنني لا أعرفهم: شخصياً لا أعرف كيف أتصرف كالأغنياء. امتلاكي للمال أو لمنزل خاص لا يجعل مني غنياً، عقليتي ليست عقلية إنسان غني، اجتماعياً ربما أنا أقرب إليهم نوعاً ما، أنا على الحد الفاصل لنقل، ولا يمكن أن أصنِّف كثريّ.

برأيك، أن يكون المرء ثرياً فهو يرتكب فعلاً غير أخلاقي أو غير سوي؟

لا أعلم حقيقة إن كان لذلك علاقة بالقيم والأخلاق، لكن مما لا شك فيه أن الثراء يكتنف شيئاً من عدم السوية أو عدم الأخلاقية. لماذا يجهد المرء نفسه في العمل ما دام ثرياً وقد ولد كذلك؟ إذاً لا عدالة في هذا. ومما لا أجده منطقياً أنه منذ ثلاث سنوات تقريباً أرسلت الولايات المتحدة جهازاً متطوراً في مركبة فضائية إلى كوكب المريخ لدراسة نوعية الصخور الموجودة على سطح الكوكب، وكان حدثاً مدهشاً شغل الجميع، يا للروعة! اندهش العالم؛ إنها التكنولوجيا والتطور العلمي، فقد استطاع الإنسان الوصول بأبحاثه إلى كوكب المريخ وبث ذلك مباشرة من الفضاء.

في الحقيقة، أعتقد أنه من غير الأخلاقي التمتع بمعرفة ماهية الصخور على سطح المريخ بينما نسمح بأن يموت الناس جوعاً على سطح الأرض! أود القول إن الفحش ليس في مشاهد الجنس والتعري، بل الفحش في أن يموت الناس جوعاً، وهنالك الملايين ممن يلقون

حتفهم بسبب الجوع والمرض في أفريقيا وأمريكا اللاتينية والمكسيك، وكذلك انتشار ظاهرة أطفال الشوارع، كيف يمكن لنا أن نسمح بكل هذا؟!

هل برأيك ستنهار الرأسمالية كما انهارت الإمبراطورية الرومانية؟

كل شيء سينتهي، لكن ما زال أمام الرأسمالية مشوار طويل.

الشيوعية انهارت كذلك!

ستعود للظهور، حسب الضغوط التي اجتمعت سابقاً والتي أدت إلى ظهورها، كل شيء سيعود كما كان، الأحداث تتكرر دائماً لكن يضاف إليها شيء جديد، الأفكار والمبادئ والنظريات التي سادت وما يعرف بالمجتمع الشيوعي سيعود للظهور مجدداً، سنجد أنفسنا في ظروف مشابهة لتلك التي أنتجت الشيوعية، أقلية غنية تتحكم بأغلبية فقيرة، وسيتفاقم الوضع وينفجر مجدداً، لأن هنالك صفة تغلب على الطبيعة البشرية وهي عدم التحمل.

يمكننا القول إذا إن الشيوعية في حالة سبات؟

لا، ما أود قوله إن هنالك صفة مشتركة بين النصر والهزيمة، وهي أنهما غير دائمين. لهذا على المرء أن يحذر ألا يتمادى في فرحه إذا ما انتصر، لأن نصره ليس أبدياً، كما أن الهزيمة لن تدوم، يمكن للشخص أن يخسر وأن ينكسر ويتحول إلى رماد من يأس، لكنه سيتماسك ويقف مرة أخرى لينطلق مجدداً. لدينا حيثيات لا يمكن

تجاهلها على الإطلاق، وهي التضحيات البشرية والقتلى. هنالك صورة عادة ما كانت تظهر في الصحف ونراها الآن على شاشات التلفاز، تلك التي تلتقطها عدسات المصورين للزعماء خلال عقدهم لاتفاقيات السلام، التي تتم بين عدوين يبتسمان للكاميرا بينما يتصافحان بحرارة. لو ندقق قليلاً في هذه الصور، فيما وراء تلك الأيدي المشدودة للسلام وتلك الابتسامات، سنجد جبالاً من الجثث وأنهاراً من الدماء. وأتساءل حقاً إذا كان الوصول إلى اتفاق سلام يتطلب ملايين الضحايا! لماذا لا تعقد قبل التضحية بكل أولئك الأبرياء؟ لماذا لا نعمل على تجنب تلك الأزمات؟ لماذا كل هذه الدماء المراقة، والمعاناة والتعذيب؟

دعوت مرة الشعب المكسيكي إلى التمرد الأخلاقي، أهذا صحيح؟

في الحقيقة، أنا أدعو العالم أجمع إلى التمرد الأخلاقي أو الثورة الأخلاقية. أعتقد أننا في حاجة إلى تمرد يستند إلى القيم، فإذا خرجت يوماً إلى الشارع أطالب بالعصيان ستأتي الشرطة وستنهال عليَّ بالضرب وسيزجون بي في السجن وينتهي الأمر. لكني لا أعني تلك الأخلاق التي استعملت كأداة لإيذاء الناس، والسيطرة عليهم، بل أتحدث هنا عن القيم العادلة، وهي قضية أعمق بكثير وعلى قدر من المسؤولية؛ إذ لا يجب أن نسمح بالممارسات غير العادلة وغير النزيهة، وهذا ما أدعوه أنا تمرداً أخلاقياً. لكن تطبيق ذلك يحتاج إلى

مناخ مناسب يمكن هذا الطرح من أن يلقى صداه عند الناس وبالتالي يؤخذ به. لست ضد وسائل الإعلام الاجتماعية، لكني أعتقد بأنها لا تقوم بواجبها المنوط بها بشكل جيد، هي تقوم بجانب واحد من مسؤوليتها وهي إعلام الناس بما يجري، لكن أيضاً يترتب عليها أن تقوم بشيء إضافي، وهو إعلام الجميع بما يطرأ من تغيّرات على مجتمع الإنسانية.

الجميع يتفقون على أنك مواطن محترم وشخص جميل، هل توافق على ذلك؟

أحاول أن أكون كذلك قدر المستطاع.

لكن يبدو أن المواطن الصالح أو العمل الطيب قد أصبح موضة قديمة هذه الأيام!

حسناً، في أيامنا هذه يعدّ العمل الصالح شيئاً سخيفاً، وينظر إلى الإنسان الطيب على أنه شخص غبي. لو كان في إمكاني أن أبتكر رابطة عالمية جديدة ستكون رابطة الطيبين أو الصالحين، أجمع فيها بين الطيبين أينما كانوا في هذا العالم، بصرف النظر عن انتماءاتهم أو أعراقهم أو اعتقاداتهم وما عدا ذلك من الفروقات، وسيكون الشرط الوحيد للانتماء إلى هذه الرابطة العالمية هي الصلاح، إن كنت طيباً انضم إلينا إذاً! وعندها سيرى العالم ما سيفعله الطيبون والذين هم ليسوا أغبياء على الإطلاق، إنما يتظاهرون بالغباء أحياناً ويختبئون خلفه. ولكن كل هذا يبقى أملاً محتملاً وحلماً جميلاً.

أعتقد أن الطيبين سيتفاهمون دائما فيما بينهم...

ليس بالضرورة، أجل، هذا محتمل. لكن هنالك طرائقَ كثيرة ليكون المرء طيباً. الأم تيريزا دي كالكوتا على سبيل المثال، يتفق الجميع على كونها امرأة طيبة جداً وصالحة، أنا شخصياً لا أصدق ما تقوله تلك المرأة، لسبب بسيط وهو أنها مهتمة بإنقاذ أرواح مرضاها، لكني شخصياً أود لو تهتم بإنقاذ أجسادهم. لقد عرض عليها مرات عدة أن تدير مستشفى مجهزاً بكل ما يحتاجه المرضى، لكنها رفضت. إذاً هي تريد فقط أن تردد صلواتها على جبين مرضاها وتقوم بتجهيزهم نفسياً لكي يدخلوا إلى الجنة. هي مثال للإنسان الطيب والصالح وقد اهتز العالم لموتها، لكن شخصياً لا أرغب في أن تجمعني تلك الرابطة مع مثل هذا الشخص الطيب، إذ أنني أملك نظريتي الشخصية والخاصة جداً عن مفهوم الطيبة.

لماذا لم تعتنق الدين المسيحي؟

لدي عقلية مسيحية بطبيعة الحال، ليست يهودية ولا بوذية ولا هي إسلامية، فقد نشأت في محيط مسيحي، ولكني ببساطة لا أؤمن بالله أو بالأحرى لا وجود لله. ولا أقصد الإساءة لأحد حين أقول هذا، لكن يحق لكل شخص أن يمتلك إلهه الخاص به إذا هو أراد ذلك. على كل حال تروق لي فكرة أني سأقابل الله يوماً ما وجهاً لوجه، وهذا ما تبشر المسيحية به أتباعها. لا يمكن أن أتجاهل أنني مقيم في إشبيلية وهي، لنقل،

مدينة عابرة للدين، وعلى الأغلب هذا لن يعجب الكثيرين، لكن لا ذنب لي؛ فأنا لا أؤمن بوجود الله. بالإضافة إلى كوني لست مضطراً إلى طلب الصفح عن ذلك.

يقول "خورخيه لويس بورخيس" إن الله أعطى الأدلة الأقوى على عدم وجوده!

أجل هذا صحيح، فالله لم يفعل سوى هذا منذ نشأة العالم.

من أوجد أو اخترع فكرة الله؟

نحن من اخترعناه، المكان الوحيد الموجود فيه الله هو عقل الإنسان، وليس في السماء، حيث يوجد جنباً إلى جنب مع الشيطان، الذي اخترعناه نحن أيضاً، تماماً كما اخترعنا الحب والكراهية والعدل والحق، والطيبة كذلك.

وخارج عقل الإنسان لا أعرف ماذا يوجد حقاً، فالعقل هو الوحيد الذي يمكننا من امتلاك فكرة حول الحقائق التي ليست في متناول أيدينا، كالفكرة أو الروح التي ندعوها بالخالق، تلك الفكرة التي تكونت في العقل البشري ولم تخرج بعد.

عندما نلت جائزة نوبل، وصفتك الكنيسة بأنك شيوعي حرون متعجرف، هل هذا صحيح؟

حسناً، الوصف تقريبي، وقد تُرجم بمعان مختلفة. لكني أتساءل ما دخل الكنيسة في ما أنا عليه، ولماذا تشغل نفسها بهذه الأمور؟ أود القول بأنني لم أسئ إلى

أحد في حياتي، لكن الكنيسة فعلت وما زالت تفعل ذلك. سأقول شيئاً، لم تكن الأديان يوماً طريقة لتقريب البشر من بعضهم بعضاً، مطلقاً، ولا في أي حقبة من تاريخ البشرية، هذا التاريخ الحافل بالفوضى، على العكس؛ فقد كرست جميع الأديان فكرة خاطئة وأنانية تقوم على إجبار الآخر على تقبل اعتقاداتنا. على سبيل المثال، وصلت المسيحية إلى أمريكا الجنوبية وفرضت تعاليمها على الشعب الأصلي، وادعت أنها الوحيدة التي تمتلك الحقيقة الإلهية، وهذا هو إثم التكبر الكاذب الذي لا يغتفر، فكيف يخيل للإنسان المغفل، ففي الواقع جميعنا مغفلون، أن يتوصل إلى الاعتقاد بأنه يملك الحقيقة الإلهية! وباسم هذا الإيمان ولخدمته توظف مفاهيم السيطرة والهيمنة وهذا في الحقيقة ما أودى بالبشرية إلى هذا العبث.

بالنسبة إليّ فكرة وجود الله هي فكرة غير قابلة للتصديق، وفكرة أن الله هو خالق العالم وأنه سيقاضي الناس جميعاً وسيحاكمهم على أعمالهم الخيرة والسيئة، كل ذلك هو أقرب إلى قصص الأطفال ولا يمكنني تصديقه. وكوني تقدمت في العمر، ففكرة الجحيم لا تخيفني على الإطلاق، وأستطيع القول بأنني الآن أكثر قناعة من ذي قبل بأنه لا وجود لمثل ذلك المكان، وقد صرح البابا بأن لا وجود لمكان محسوس يدعى الجحيم، وبأن الجحيم هو ألا أكون مع الله. وتبعاً لذلك، إن كان ذلك صحيحاً، فأنا الآن موجود في الجحيم، لكن

الحقيقة أنا في حالة جيدة جداً، بل في أفضل أحوالي لسبب بسيط جداً، وهو أنني رجل طيب، بالإضافة إلى أنني حصلت على جائزة نوبل، فكيف لا أكون بحالة جيدة؟!

من أقوال خوسيه ساراماغو

«تحمل الهزيمة في طياتها شيئاً من الإيجابية، فهي ليست نهائية، في حين أن النصر يكتنف قدراً من السلبية فهو لا يدوم إلى الأبد».

«أحياناً، ولكي نكسب معركة ما، يتوجب علينا أن نخسرها أولاً».

«القوة الاقتصادية هي صاحبة التأثير الحقيقي في المجتمعات، لذلك فالحديث عن الديمقراطية هو مضيعة للوقت».

«أعتقد بأننا جميعاً فقدنا البصر، نحن عميان في إمكاننا أن نرى ولكننا لا نبصر».

«في داخلنا يوجد شيء لا اسم له، إنه من نكون في الحقيقة».

«ذاكرتنا انتقائية بطبيعتها، تعمل على محو الذكريات العصيبة وتشكل ذكرى من الأشياء الجميلة فقط، لذلك علينا أن نكون صادقين مع أنفسنا».

خطاب خوسيه ساراماغو في ستوكهولم
في حفل تسلمه جائزة نوبل للآداب ١٩٩٨

أكثر الرجال حكمة ممن عرفتهم في حياتي، لم يكن يتقن القراءة ولا الكتابة، يستيقظ كل يوم في تمام الرابعة فجراً هناك حيث كانت الأرض الفرنسية على موعد مع فجر جديد، ينهض من سريره ويخرج نصف دزينة من الخنازير إلى الحقل الذي كان يعتاش وزوجته من إنتاج محصوله. كانا يؤمنان قوت يومهما من بيع صغار الخنازير بعد الفطام للجيران في مزرعة "أزينهاغا" في مقاطعة "ريباتيخو".

ذاك الرجل يدعى "هيرونيمو ميلرنيهو" وزوجته "خوسيفينا كايكسينخا" هما جداي، وكانا أميين.

في فصل الشتاء، عندما يشتد البرد ليلاً حتى تتجمد المياه في مجاريها، كانا ينتقيان الأضعف من بين صغار الخنازير حديثي الولادة ويصحبانها لتنام معهما في السرير، حيث كان دفء جسديهما تحت الغطاء السميك ينجي تلك الصغار الضعيفة من موت محتم. كانا شخصين طيبين جل ما كان يشغلهما هو تأمين قوت اليوم بطبيعة من يعيش حياته ولم يتعلم التفكير أبعد من أنفه.

ساعدت جدي "هيرونيمو" مرات كثيرة في أعمال الحقل، حرثت أرض "هويرتو" القريبة من المنزل وقطعت الأخشاب للموقد، وأحياناً كثيرة قمت بتدوير

العجلة الحديدية لتشغيل مضخة المياه الضخمة بغرض إيصال المياه من النبع المنخفض إلى كتف البستان. وأحياناً كثيرة كنت أفعل ذلك دون علم حراس المحاصيل.

وأيضاً فقد كنت أرافق جدتي إلى الأرض في الصباح الباكر ونحمل معنا رفشاً ومعولاً وقطعة من القماش وحبلاً، ونباشر بجمع القش المتناثر في الحقول لنستخدمه لاحقاً كعلف للحيوانات.

أحياناً بعد تناول العشاء، كان جدي يقول لي: «خوسيه، سننام اليوم معاً تحت شجرة التين». كانوا ثلاث أشجار، لكن تلك الشجرة بالتحديد ولكونها الأكبر والأقدم بينهم ولما مثلته لجميع من في المنزل، استحقت بجدارة لقب "شجرة التين"، وهي كلمة شاملة وواسعة المعنى استغرقت مني سنوات طوال لأدرك معناها الحقيقي.

في تلك الليلة الهادئة، وبينما كنت مستلقياً إلى جانبه أحدق إلى السماء، ظهرت لي نجمة من بين الأغصان ثم ما لبثت أن اختفت ببطء خلف إحدى الأوراق. في الجهة الأخرى سطعت مجموعة درب التبان بوضوح أو "طريق سانتياغو" كما ندعوها في قريتنا، بدت وكأنها نهر يجري ببطء في قعر السماء. وكنت كلما غلبني النعاس وأوشكت على النوم، تزدحم الليلة بالحكايات والأحداث التي يقصها جدي دون توقف وعن كل شيء، أساطير وتهيؤات وتنبؤات وتفاصيل

لمناوشات حدثت بالعصي والحجارة، بلغة تعج بمفردات الأسلاف القدامى وقصص الأموات. كان الخوف يتملكني ويجبرني على البقاء مستيقظاً، ونفسه الخوف ما كان يدفعني إلى النوم في نهاية المطاف.

لم أعرف يوماً إن كان جدي يتابع سرد حكاياته بعدما يكتشف أنني غرقت في النوم، أم أنه يتابع لكيلا يتم الإجابة عن سؤالي الوحيد والذي كنت أطرحه عليه في استراحة مستعجلة خلال سرده للحكايات: «وماذا بعد؟».

لربما كان يعيد سرد الحكايات لنفسه لكيلا ينساها، أو ليضيف عليها مغامرات جديدة، لا أعرف على وجه الدقة. في ذلك العمر الصغير، في الفترة التي مررنا بها جميعاً، كنت أعتقد بأن جدي هو سيد العلوم في هذا العالم. ذلك الرجل الذي يغادر فراشه عندما تطلق العصافير أول تغريداتها الصباحية متجهاً مع حيواناته إلى المرعى ويتركني غارقاً في النوم، لأصحو بعدها فأطوي بطانيتي وأنطلق حافياً (وقد استمررت في المشي حافياً حتى بلغت الرابعة عشرة)، والقش ما زال عالقاً على شعري. أقطع البستان من الجهة المزروعة إلى الجهة المقابلة حيث حضيرة الخنازير بمحاذاة المنزل. وفي تلك الساعة المبكرة تكون جدتي قد استيقظت وباشرت أعمالها من قبل حتى أن ينهض جدي، تضع لي كوباً من القهوة وقطعة خبز وتسألني عما إذا كنت قد نمت بشكل جيد في الليلة السابقة، وكانت إذا ما

أخبرتها عن حلم مزعج تسببت به قصص جدي في الليلة السابقة، تهدئني وتقول: «لا تصغِ إلى جدك، فلا يقين في الأحلام». اعتقدت حينها أن جدتي وإن كانت امرأة حكيمة فإنها لا تصل إلى المستوى الذي بلغه جدي من العلم، ذاك الذي كان يدفن جسده تحت شجرة التين إلى جانب حفيده "خوسيه"، والذي كان في مقدوره أن يجعل الكون يهتز ببضع كلمات منه.

بعد مرور السنين، وبعد أن غادر جدي هذا العالم وكذلك جدتي، وأصبحت رجلاً ناضجاً، وصلت إلى قناعة بأن جدتي كانت تؤمن بالأحلام أيضاً، وإلا لما تلفظت بجملتها تلك في إحدى الليالي عندما كانت جالسة أمام بيتها الفقير في أيامها الأخيرة تماماً في الفترة التي صارت فيها هادئة جداً وصامتة ولا تفعل شيئاً سوى مراقبة النجوم في السماء.

- «العالم جميل جداً، ولذلك أخجل أن أموت».

لم تقل إن لديها خوفاً من الموت، بل كانت تخجل أن تموت، كما لو كانت حياة الشقاء والتعاسة والعمل المتواصل التي عاشتها تتلقى منها الشكر في تلك اللحظات القريبة جداً من النهاية في مشهد وداع أخير ومهيب. متكئة إلى باب منزلها الذي لا أتخيل أن يوجد مثيل له في هذا العالم، فقد عاش تحت سقفه أناس تقاسموا السرير مع خنازيرهم كما لو كانوا أطفالهم، وكانوا خجلين من مغادرة الحياة فقط لأن هذا العالم جميل ورائع.

من ذلك المعدن كان جدي "هيرونيمو" الراعي والحكواتي الذي بمجرد إحساسه بقدوم الموت ليأخذه قام بتوديع أشجار بستانه شجرة تلو أخرى، حضنها جميعاً وبكى لأنه عرف بأنه لن يراها مجدداً.

عندما كتبت لأول مرة عنهما فاتني أن أذكر بأن جديتي "خوسيفينا" (وحسب ما قاله بعض الأشخاص الذين عرفوها في صباها) كانت ذات جمال فائق.

مع مرور الوقت أدركت بأنني قمت بتحويل شخصيتهما العاديتين إلى شخوص في رواياتي، وتلك كانت طريقتي ربما لكيلا أنساهما.

كنت أرسم وجهيهما وأعيد الرسم من جديد بقلم الرصاص، وفي كل مرة كنت أغير فيها معالمها محاولاً أن أنير على جبال غامقة ومعتمة من الذاكرة، كمن يحاول تصحيح رسم خريطة غير واضحة المعالم لبلد يريد أن يسافر إليه.

وقد قادتني عادتي تلك بتتبع الخيال إلى اكتشاف صورة قديمة (عمرها اليوم ثمانون عاماً)، يظهر فيه والدي بثياب أنيقة ينظران مباشرة نحو الكاميرا ويبديان انطباعاً رسمياً مبالغاً فيه، هو أغلب الظن هيبة اللحظة التي ستلتقط فيها تلك الصورة التاريخية التي لن تعاد مجدداً، لأن اليوم التالي سيكون يوماً آخر.

كانت أمي تضع يداً على خصرها وتحمل وردة باليد الأخرى الممدودة إلى جانب جسدها، بينما يمرر والدي يده وراء ظهرها ويضع اليد الأخرى على كتفها لتبدو

كجناح.

يقفان بخجل على سجادة موردة، وفي خلفية الصورة قماش يظهر رسم غير متناسق لبناء كلاسيكي حديث. عندما انتهيت من مطالعة الصورة قلت في نفسي: «سيأتي اليوم الذي سأتكلم فيه عن كل هذا».

ربما لا أحد يهتم بمعرفة كل هذا عداي أنا، جد بربري قادم من شمال أفريقيا وآخر راع للخنازير، وجدة رائعة الجمال، وأبوين حذقين وعظيمين، ووردة في إطار صورة، إذاً ما يهمني من علم الأنساب؟ وأين سأجد أفضل من هذه الشجرة لأرتكز عليها؟

كتبت هذه الكلمات منذ ثلاثين عام تقريباً دون أي غاية أخرى سوى إعادة بناء وتسجيل لحظات من حياة الأشخاص الذين عملوا على تربيتي، وكانوا الأقرب إليَّ. خطر لي بأنني إذا ما سردت كل هذا سيكون كافياً دون الحاجة إلى أية إضافات أخرى لكي يتمكن الآخرون من معرفة أصلي ومن أين جئت ومن أي معدن صنع هذا الشخص الذي أصبحت عليه اليوم.

ولكني الآن أكتشف بأني على خطأ، لأن علم الأحياء لا يعطي تفسيراً لكل الظواهر، أما علم الوراثة فيبدو غامضاً جداً، فشجرة العائلة لا ينقصها تلك الأغصان الذي عمل الوقت وظروف الحياة المتعاقبة على نزعها عن الجذع الرئيس، بل أيضاً كان ينقصها من يساعد جذورها على التغلغل حتى الطبقات السفلى والأكثر عمقاً في الأرض، وأيضاً لمن يتذوق طعم ثمرها الطيب

والحلو ولمن يشذبها لكي تصلح لتكون ملجأ للطيور المهاجرة وحامية للأعشاش.

عندما أعدت رسم صورة والدي وصورة جديَّ بقلم الروائي محولاً إياهم من شخصيات عادية من لحم ودم إلى شخوص ساهمت في بناء حياتي من جديد، كنت ودون انتباه مني أعبر الطريق نفسه الذي رسمته لشخصياتي التي قمت بخلقها، والتي أدت إلى أن تصنع مني الشخص الذي أنا عليه اليوم، خالق تلك الشخصيات وابن لها في الوقت نفسه.

بمعنى آخر يمكنني القول إنني رحت أغرس حرفاً حرفاً، وصفحة وراء صفحة، وكتاباً تلو الآخر في الرجل الذي كنته جميع الشخصيات التي خلقتها. وأعترف بأنني من دونها ما كنت الشخص الذي أنا عليه اليوم. بل ربما كنت مجرد كائن ما في هذا الوجود كان من الممكن له أن يحقق شيئاً ما في الحياة ولم يستطع الوصول إليه.

الآن لديَّ القدرة على تمييز المعلمين الحقيقين لي في هذه الحياة، الذين عملوا على تلقيني أهم وأقسى دروس العيش، إنهم بلا شك شخوص الروايات والمسرح الذين يمرون الآن كشريط أمام عيني. هؤلاء النساء والرجال المصنوعين من الحبر والورق الذين خلقتهم وكنت أعتقد خاطئاً بأنني من كنت أقودهم وفق رؤيتي ورغبتي ككاتب، تماماً كما تحرك الدمى المتحركة التي لا يتعدى تأثيرها الوزن الذي تحمله اليد وضغط الخيوط

خلال التحريك.

مقابلة خورخيه لويس بورخيس
مع خواكين سيرانو على القناة الإسبانية

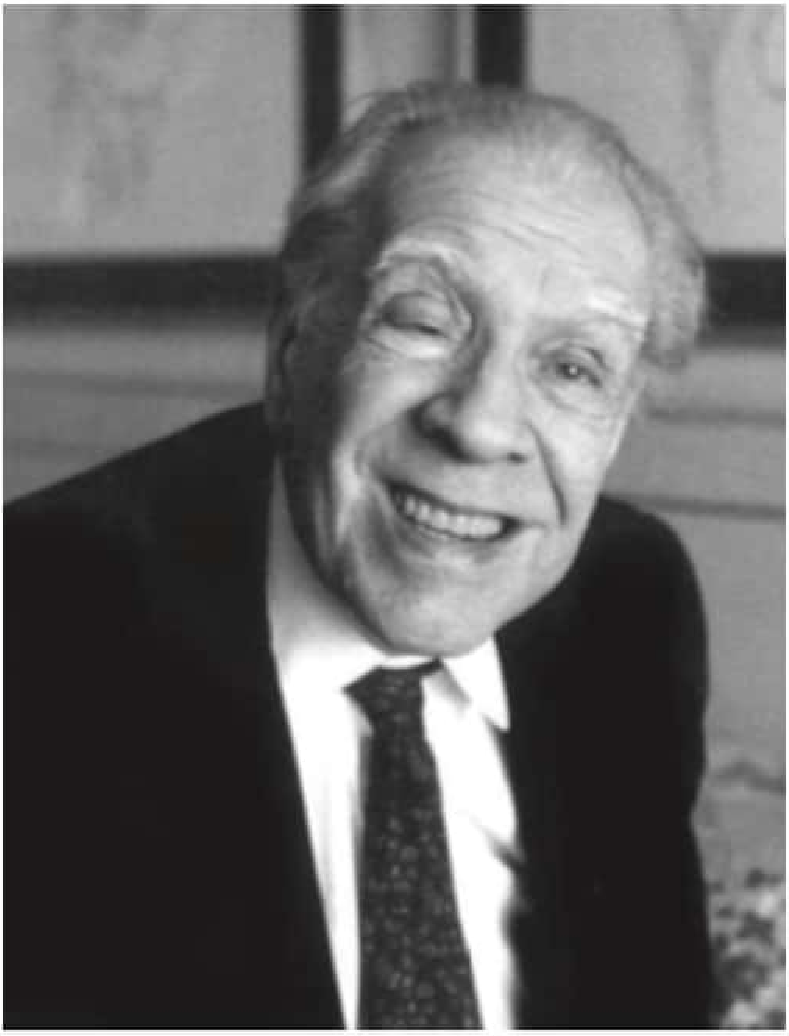

خورخيه لويس بورخيس (Jorge Luis Borges)

ولد في بوينوس آيريس عام 1899 وأتم دراسته في (جينيف – سويسرا)، وعاد ليدرس الأدب في جامعة بويونس آيرس. ترعرع في عائلة محافظة وكان لوالديه أثر كبير في مساره الأدبي، حيث نقلا له بذرة الفن. حصل على عدة جوائز عن أعماله، منها الجائزة الوطنية للأدب وجائزة فورمنتر مناصفة مع صامويل بيكيت، وجائزة سيرفانتس. وقد امتاز أسلوبه بالرمزية ومزج الواقع مع الخيال. من أعماله "مقابل القمر"، "دفتر

سان مارتين"، "الألف". فقد بصره عام 1955 فتولت والدته "ليونورا سيبيدو" أمر كتابة أعماله كافة، توفي في العام 1986.

أجريت هذه المقابلة في العام 1976.

يقال عنك أيها المعلم بأنك عقل متنقل ومتقد بالذكاء، ولكنك متهم بالبرود بعض الشيء!

لا، هذا غير صحيح. لكن لسوء الحظ أنا حساس بعض الشيء، وبما أنني أرد عادة بطريقة فيها بعض الغموض والترميز ولا أعبر عما أريد قوله بشكل مباشر، لذلك يعتقد البعض بأنني أجاوبهم بطريقة لا مبالية أو باردة.

من الصعب، بل هو أمر في غاية التعقيد، تحويل العواطف إلى رموز وحسابات، وهو مدهش في آن معا، أليس كذلك؟

هنا تكمن مهمة الفن، تحويل ما نشعر به عادة إلى إرث في إمكانه البقاء في ذاكرة الإنسان، وإلا لشعرنا بالعجز والحزن.

وتلك الأحاسيس والمشاعر الفطرية الأولية تخلق مع الإنسان منذ ولادته.

نعم، لكن في حالة الكتاب أو الفنانين بشكل عام يقع على كاهلهم الواجب الأخلاقي بتحويل كل تلك المشاعر إلى رموز يمكن أن تكون ألواناً وأشكالاً، أو موسيقى وحكايات...إلخ. وأقصد القول إن مهمة الشاعر مستمرة ودائمة ولا تقاس بعدد الساعات التي يعمل فيها،

فالاستمرارية تتمثل في كونه يستقبل إشارات من عالمه الداخلي وعليه أن ينقلها إلى الآخرين. إحدى القصائد في كتابي الأخير "العملة الحديدية" كانت عبارة عن حلم قد راودني.

وكيف عرفت بأن الجمهور أحبها؟ وماذا كان شعورك؟

حسناً، قمت بكتابتها في اليوم التالي مباشرة، لم أعرف حينها إن كانت قيمة أم لا، وبعد عدة أيام أطلعت أحد الأشخاص عليها فنالت إعجابه، وبهذه الطريقة تأكدت بأنها صالحة للنشر.

باعتقادك أننا نخطئ حتى في الحلم؟

أجل، تماماً، وأيضاً تكثر الأخطاء عندما نشعر بأننا مراقبون، فتصبح أخطاؤنا مضاعفة.

تقول إنك ارتكبت الأخطاء الممكنة والمتاحة حتى هذا اليوم كافة؟

أجل، أعتقد ذلك، الأخطاء ضرورية في الحياة.

ما الفرق بين خورخيه الذي كنته في العشرين في العمر وخورخيه اليوم؟

حسناً، من حيث المبدأ نحن واحد، لكن خورخيه الحاضر قد تعلم بعض الحنك والمهارات والتكنيك، وأعتقد بأنني ما زلت ذات الشاب الذي كنته عندما نشرت كتابي الأول، كان ذلك في بوينوس آيريس عام 1932، وأعتقد أن ذلك الكتاب الأول قد حمل بين

سطوره كل ما كنته وما كتبته لاحقاً أيضاً، لكن بكلمات سحرية ومخفية كنت الوحيد الذي يستطيع رؤيتها. وكل ما فعلته بعدها هو إعادة كتابة كتابي الأول لكن بطرق مختلفة.

تلك الطريقة الرمزية التي تكتب وفقها، والمفاتيح السرية التي تتركها لخيال القارئ، هل تريد للقارئ أن يفهمها حقاً ويفك رموزها أم أنك تكتب لترضي نفسك فقط؟

لا، في الحقيقة عندما أكتب شيئاً ما فقد أصبح بشكل تلقائي بعيداً عني، وأنا أمارس فعل الكتابة تلبية لحاجة وإلحاح داخلي، ولا أفكر مطلقاً في جمهور معين خلال عملية الكتابة. فقط أركز في التعبير عما أريد قوله محاولاً فعله بأبسط الطرق. في بداياتي كنت كاتباً خجولاً، وعندما يشعر الكاتب بأن ما يقوله ليس ذا أهمية يلجأ أحياناً إلى إخفائه. أحاول الآن أن أعبر بكلمات متداولة ومعروفة، لأنه من الخطأ الاعتقاد بأن جميع الكلمات الواردة في القاموس هي صالحة للاستخدام عند الكتابة، شخصياً أفضل أن يستخدم الكاتب اللغة المحكية والحميمية عند الكتابة، وهذا يأتي مع الوقت والخبرة.

حضرتك شخص متحفظ وحذر جدا، هكذا يقال.

أتمنى لو كنت كذلك.

دعنا نعود إلى الوراء، يوم 24 من أغسطس/آب 1988، اليوم الذي ولدت فيه، فأنت تنحدر من عائلة

أرجنتينية عريقة من أولى العائلات التي أسست بوينوس آيرس.

نعم أحد أجدادي كان من مؤسسي مدينة بوينوس آيرس، وجدي والد أبي ويدعى الكورونيل فرانسيسكو بورخيس شارك في معركة "لاس بيرديس"، وبعد هزيمة قواته اختار لأسباب سياسية أن يسلم نفسه للعدو، فركب حصانه الأبيض، مرتدياً معطفاً أبيض طويلاً، ثم اتجه مباشرة إلى حيث تتمركز قوات العدو في الطرف الآخر، وهناك تلقى الرصاص بشجاعة وقُتل بالطريقة التي اختارها.

تقول دائما ما تفكر فيه، ولديك استقلالية تامة في ذلك.

أحاول أن أفعل ذلك، ولهذا فأنا متحفظ وكتوم أحياناً، لكني اليوم أتكلم بكل صراحة.

كان والدك مدرسا للغة الإنكليزية؟

في الواقع كان مدرساً لعلم النفس، وشاعراً أيضاً، وقد لحن بعض أشعار السيرينادا. كان يريد أن يرى حلمه يتحقق من خلالي، الحلم الذي لم يستطع تحقيقه في أن يصبح كاتباً مشهوراً. وكنت أعلم منذ صغري بأن قدري هو أن أكون كاتباً، لقد خلقت لذلك. وقد وضع والدي كامل محتوى مكتبته بين يدي واحتوى القسم الأكبر منها على مؤلفات لكتاب إنكليز، فدخلت في عالم هذه المكتبة الضخمة، كان هنالك بين الكتب رواية "دون كيشوت" لميغل سيرفانتس وقد قرأتها عدة

مرات.

تحكي أختك بأنها تتذكرك دائما وأنت مستلق مع كتابك على الأرض تقرأ وتقرأ دون توقف!

نعم هذا صحيح، كنت أقرأ أنواع الكتب كافة، فوالدي لم يكن يفرض عليَّ قراءة كتب معينة، بل كانت لي حرية انتقاء ما أريده.

هل تتذكر الانطباع الذي خلفته لديك رواية "دون كيشوت" عند قراءتك الأولى لها؟

في الواقع كانت رواية تحتوي العديد من المغالطات، لكن ما أعجبني كانت طريقة سيرفانتس في امتداح عالم الفروسية وذمه في الوقت نفسه. بالنسبة إليَّ هي رواية عن عالم الفروسية، وأعدها رواية غريبة، بل غريبة جداً. وفي الفترة التي أصدر فيها "ميغل سيرفانتس" روايته تلك كانت قراءة مثل تلك الكتب قد تراجعت وفقدت رواجها.

كيف ترى ميغل سيرفانتس الكاتب؟

أجريت حواراً منذ فترة وجيزة مع "إرنستو ساباتو" وقال لي شيئاً أعجبني، قال: «يتهم "ميغل سيرفانتس" بأنه كاتب رديء، لكن إذا كان أسلوبه الرديء ذاك قد ترك لنا إرثاً مثل "دون كيشوت"، إذاً فكتاباته لم تكن بذلك السوء». وأتفق معه بشدة في هذا.

عالم طفولتك كان مليئا بالمغامرات والخيال، فقد كنت تقرأ الكثير يوما بعد يوم.

نعم، كنت أقرأ لكيبلينغ وكان هناك العديد من الكتب الرديئة التي لم أستطع فهمها، لكن القارئ الطفل لا يملك القدرة على مقارنة كتاب مع آخر، بل يتقبل كل ما يقرأه. في ذلك الوقت لم أكن أملك القدرة على معرفة إن كان "دون كيشوت" مثلاً أفضل من "خوان موريرا"، كنت أستمتع فحسب بكل ما أقرأه دون تكوين أحكام حوله.

لم تكن متعة فقط، بل كانت تغذي الخيال داخلك هنالك حيث كان ينمو عالم بورخيس.

نعم، لكن هذا كله كان غامضاً بالنسبة إليّ حينها.

كتبت قبل بلوغ سن العاشرة، صحيح هذا؟

كتبت قصة باللغة الإسبانية العتيقة ونشرت في جريدة "الوطن" الإسبانية، وكذلك ترجمت من الإنكليزية قصة "الأمير السعيد" لكاتبها "أوسكار وايلد"، وأعتقد بأنها كانت ترجمة جيدة بالنسبة إلى طفل في العاشرة.

جدتك كانت إنكليزية؟

نعم، كانت من أصول إنكليزية. وأذكر أنها كانت تحفظ الكتاب المقدس عن ظهر قلب، وكانت إذا ما سألها أحد الأشخاص عن أي مقطع فيه تعطيه الإجابة كاملة في أي فصل يوجد وكذلك رقم الصفحة. أتذكر جيداً ساعة وفاتها، كان الجميع حزيناً لأجلها، كانت هزيلة لكن بقوة داخلية عظيمة. أرسلت بطلب جميع أفراد العائلة وقالت لنا: «هذا الذي سيحدث الآن وقريباً

جداً، ليس مهماً على الإطلاق، أنا مجرد امرأة عجوز تموت ببطء، وهذا لا يجب أن يشغل بال أحد منكم».

في أعمالك كافة كنت تطرح أسئلة حول الموت والحياة الأبدية.

حسناً، اسمح لي، إذا كنت سأتحدث عن الموت سأذكر هنا موت جدتي الأخرى ابنة الكورونيل "سواريس". كانت امرأة ذات أخلاق عالية ولم أسمعها ولو لمرة تتلفظ بألفاظ نابية، لكن في ساعاتها الأخيرة بينما كانت تحتضر في جينيف وجميع أفراد الأسرة متحلقين حول سريرها، لحظتها قالت جملة بصوت رفيع بالكاد يسمع ذكرت فيها شتيمة لأول مرة في حياتها، قالت حينها: «دعوني أموت بسلام أيها الأوغاد».

وعن الموت أيضاً أذكر يوم توفي والدي، كان قد فقد بصره ولكنه مات مبتسماً عن عمر يناهز 64 عاماً.

كان لموتهم أثر في أعمالي بلا شك، الموت يترك آثاراً عميقة لدى جميع الناس، تلك الفكرة بأننا سنغادر في أية لحظة، الحياة المؤقتة والقصيرة التي نعيشها هذا ما يجب أن يشغل الجميع وليس الكتاب فقط.

متأثرا بكتاب "دون كيشوت" كتبت قصة بعنوان "لابيسيرا فاتال"، وبعد ذلك قمت بترجمة الأمير السعيد لأوسكار وايلد، كل ذلك قبل العاشرة. وعام 1914 نشرت "اكتشاف أوربا" وبعدها "اكتشاف سويسرا"، أليس كذلك؟

نعم، في الحقيقة "سويسرا" هي بلاد جديرة بالإعجاب، فهي تجمع مواطنين من أصول فرنسية وألمانية وإيطالية ولكنهم قرروا نسيان الفروقات فيما بينهم ليصبحوا جميعا مواطنين سويسريين. وهذا أمر يدعو إلى الاحترام.

لديك ذاكرة قوية جداً لدرجة أنك تتذكر كل ما تكتب وتتذكر أقوال كتاب آخرين أيضاً.

نعم، صحيح.

وتتحدث الألمانية أيضاً!

أجل، صحيح، تعجبني اللغة الألمانية.

وماذا عن الأدب الفرنسي، ما أكثر ما يعجبك فيه؟

أعتقد أن اللغة الفرنسية هي من أغنى اللغات، نستطيع القول على سبيل المثال إن ألمانيا تختزل عبر شخصية "غوته"، وأن إنكلترة تختصر في أعمال "شكسبير"، لكننا لا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نختصر فرنسا في اسم واحد من أسماء أدبائها، لأن هناك الكثير منهم، وإذا قلنا فرنسا هي "هوغو" فهذا خطأ، وإذا قلنا هي "فولتير" فنكون قد أهملنا العديد من الشخصيات الشهيرة. شخصياً لا تعجبني اللغة الفرنسية، لكني أدرك أنها تستحق الإعجاب لما أنتجته من جمال في عالم الأدب.

ما رأيك في الديمقراطية؟

كما قلت في كتابي الأخير، الديمقراطية ليست سوى

تلاعب في الإحصائيات ولا شيء سوى ذلك.

لا تعتقد بالديمقراطية إذا!

لا، لكنني لا أعتقد بوجودها أو بإمكانيتها في بلدي الأرجنتين، ربما هي موجودة في بلد آخر.

هل تعتقد بوجود الجحيم؟

في الكثير من الأحيان يراودنا شعور بأننا نعيش داخل الجحيم، وأحياناً أخرى نشعر وكأننا في الجنة. هذا كل ما في الأمر.

ما هي الكراهية بالنسبة إليك؟

أنا لم أشعر بالكراهية من قبل، لم أجرب ذلك الشعور، ولم أكره أحداً في حياتي. حسناً، مر على بلدي اثنان من الرؤساء الديكتاتوريين، وأحاول ألا أفكر فيهما، أحاول النسيان فقط.

والحب هو الثروة برأيك؟

أجل، بالطبع، بصرف النظر عما إذا تلقى الشخص مقابلاً أم لا.

ما هي الحياة بالنسبة إليك؟

الحياة مغامرة شيقة.

من أقوال خورخيه لويس بورخيس

«أنا من أصول إسبانية وإنكليزية وبرتغالية ويهودية وبلغارية ونورمندية، أي أنني أحمل في دمي مزيجاً لأعراق متعددة، وأعتقد أن خليط الدم هذا هو شيء يسري في عروقنا جميعاً».

«لا تكره عدوك، وإن فعلت فتصبح بشكل أو بآخر عبداً لذلك الكره، كرهك لن يكون أبداً أفضل من سلامك الداخلي».

«لا يوجد إنسان يمضي يومه دون أن يكذب لسبب ما ولعدة مرات».

«لا أتحدث عن الانتقام أو الصفح، النسيان هو الاثنان معاً».

«سعيد من يصر على فكرة عدم امتلاكه للحقيقة، لأن ما من أحد يمتلكها، أو ربما لأن الجميع يملكونها».

«سعيد من يسامح الآخرين ويسامح نفسه».

مقابلة إدواردو غاليانو

على قناة Sangre Latina «سانغري لاتينا»

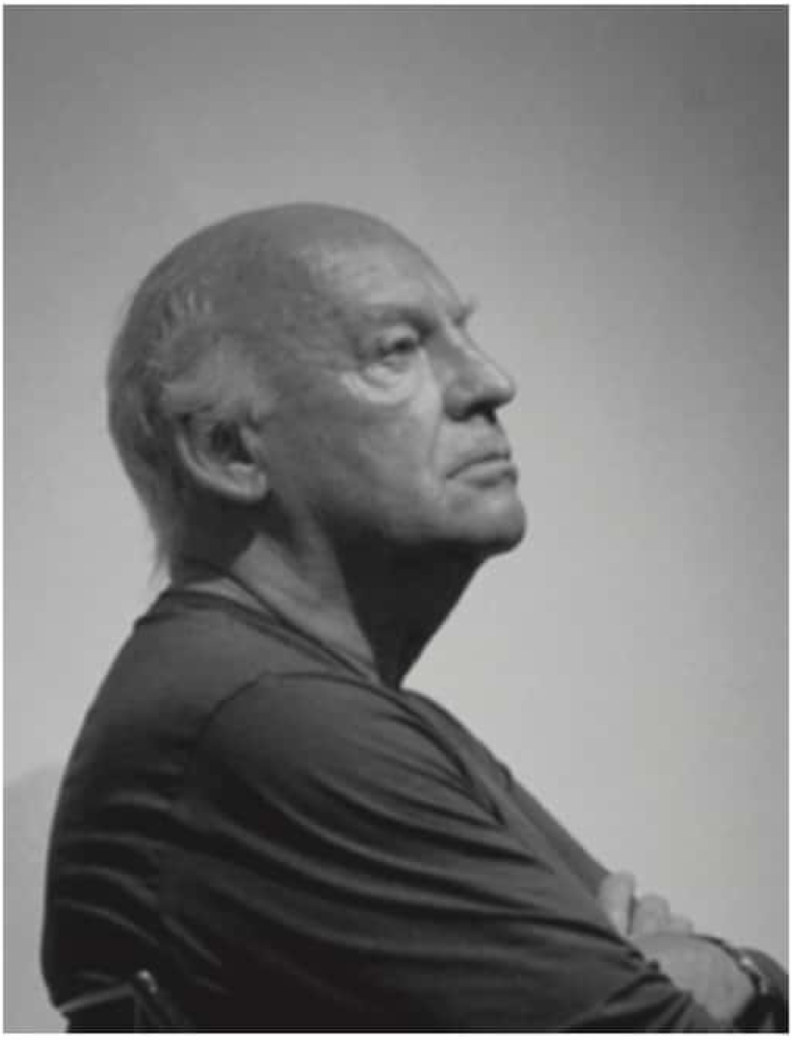

إدواردو غاليانو (Eduardo Galeano)

كاتب وصحافي من الأوروغواي، ولد في 3 سبتمبر عام 1940، وتوفي في العام 2015.

ذو أصول متعددة تمتزج بين الإسبانية والإيطالية والبريطانية، باشر العمل الصحفي في سن مبكرة حيث نشر أول مقالاته في الجريدة الأسبوعية EL SOL، "الشمس" موقعة بـ Guius.

نُفي إلى الأرجنتين عام 1973 وأسس فيها جريدة الأزمة LA CRISES، تحسس نبض أمريكا اللاتينية

والعالم عبر رحلة إبداعه وعطائه ككاتب وصحافي ورسام، وترجمت أعماله الأدبية إلى أكثر من عشرين لغة، وكان أشهرها "الشرايين المفتوحة لأمريكا اللاتينية" ويمثل هذا العمل تحليلاً دقيقاً لما تعرضت له أمريكا الجنوبية من استغلال لثرواتها منذ عهد كريستوفال كولون حتى أيامنا هذه، وقد طبع هذا العمل ثلاثين طبعة منذ إصداره في عام 1971، وتعرض للمنع في عدة دول منها الأرجنتين والأورغواي وتشيلي.

حقق الكتاب شهرة إضافية بعدما قام الرئيس الفنزويلي هيوغو تشافيز بإهدائه إلى الرئيس الأمريكي باراك أوباما في العام 2009.

يتحدث إدواردو غاليانو في هذه المقابلة مع الصحافي إيريك نيبوموسينو عن أمريكا اللاتينية وعن الحياة والوداع والخوف وعن كل ما يموج داخله إن كان من هواجس أو من طمأنينة يستشفها المرء من خلال شخصيته الفريدة وكلماته التي تأخذنا إلى عالمه الخاص.

أجريت هذه المقابلة في العام 2011.

*

مقتطف من كتاب "معانقات" تحت عنوان "العالم" يقرؤه غاليانو في بداية المقابلة...

«تمكن رجل من قرية نيغوى الواقعة على الساحل الكولومبي من الصعود إلى السماء، وعند عودته تحدث

عن تأمله للحياة البشرية من الأعلى فوجد أننا جميعاً نشكل بحراً من لهب، العالم هو كومة من البشر وبحر من اللهب. قال، وليس هنالك ألسنة لهب متشابهة، فكل شخص يشع بضوئه الخاص الذي يميزه عن الآخرين، ثمة ألسنة لهب كبيرة وأخرى صغيرة، وهي موجودة بجميع الألوان، لبعض البشر ألسنة لهب هادئة لا تتأجج مع هبوب الريح، وآخرون لهم لهب مجنون يملؤون الهواء بالشرار المتطاير. هنالك ألسنة لهب غبية لا تضيء ولا تحرق. بينما لآخرين ألسنة لهب حارقة يلذعون الحياة برغبة عارمة فلا يمكن النظر إليهم دون أن ترف أعيننا، ومن يقترب منهم يشتعل».

*

أود لو تحدثني عن أمريكا اللاتينية، كيف تراها اليوم؟ وكيف ترى هذا العالم الذي نعيش فيه؟

يبدو هذا السؤال معقداً بعض الشيء. تريد إجابة عن أمريكا اللاتينية والعالم أيضاً، لحسن الحظ أنك لم تسألني عن المريخ والقمر! حسناً أعتقد أن بلادنا تعيش حقبة مليئة بالإبداع والجمال يصعب فهمها، خاصة إذا ما نظرنا إليها نظرة خارجية وفوقية، فإن نحن أردنا فهم حقيقة الأمور واستشعار نبضها علينا النظر إليها من الداخل، أي من العمق ومن الأسفل. أما إذا ما نظرنا إليها بتلك الفوقية التي يتصف بها إعلام الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية أو في أوروبا مثلاً فلن نتمكن من فهم شيء على الإطلاق. وذلك لسبب وجيه

وهو أن بلادنا هي أكثر بلاد العالم تفرداً، بل هي في الواقع وطن التعدد العرقي والإنساني، ومن ينظر لهذا التمازج العظيم نظرة خارجية سيبدو له ذلك عيباً كبيراً ومشكلة كبرى، فتلك الدول تمتلك نظرتها الخاصة عن الديمقراطية، وإن أنت لم تدخل معهم في تلك المعمعة وتشاركهم نظرتهم الفوقية تلك إذاً فأنت لا تؤمن بالديمقراطية. وهذا خطأ فادح، فكون بلادنا تعج بالتناقضات والاختلاف والتنوع العرقي المدهش الذي تتمازج فيه الأطياف البشرية بألوانها كافة هو أكبر دليل على أن بلادنا هي عرش للديمقراطية.

حسناً، عن العالم سأذكر مقولة تعجبني كثيراً لشاعرة أمريكية تدعى موريك ريكايستر تقول: «يقال إن العالم مصنوع من الذرات! وأنا أقول إنه مصنوع من القصص». شخصياً أعتقد بصحة ذلك، فالعالم مصنوع من القصص، وجميعها إن كانت القصص التي نحكيها أو التي نسمعها أو تلك التي نختلقها ونعمل على تضخيمها، تمتلك القدرة على تحويل الماضي إلى حاضر كما يمكنها تقريب البعيد وجعله ممكناً ومرئياً.

لنتحدث عن الخسارات، كيف واجهتها وتغلبت عليها، أم أنك واجهت صعوبة في ذلك؟

أستطيع القول بأن خسارة الأشياء لم تكن تعنيني يوماً، إنما هي خسارة الأشخاص التي لطالما أثرت فيَّ وأوجعتني، وبعضها ترك فجوات في روحي من الصعب ملؤها من جديد. فالعالم بلا شك مبني على قاعدة

معقدة من مجموع اللقاءات والفراق، من التملك والخسارة، وأفضل الأيام هي تلك التي لم نعشها بعد. وكل خسارة في الحياة يقابلها لقاء مع شخص لم نلتقِ به بعد. والحياة الكريمة في هذا الشأن، فهي لا تخذلنا أبداً.

في الحقيقة، أنا أكتب لكي أحتفل بحقيقة الحياة، ولأدين كل ما يعيق طريقنا لمعرفة الذات ومعرفة الآخرين، الذين يشكلون باختلافهم ألوان قوس قزح الأرض. فحقيقتنا هي أعظم بكثير مما يقال لنا.

ماذا عن الخوف؟

الخوف يتربص بنا ويهددنا، يقول الخوف إذا قمت بممارسة الحب ستصاب بالإيدز وإذا أدمنت التدخين ستصاب بالسرطان، إن تنفست سيقتلك التلوث، وإن شربت الكحول ستتسبب بحادث سير، إذا أكثرت من تناول الطعام ستصاب بالكوليسترول، وإذا عبرت عن رأيك بصراحة ستجد نفسك عاطلاً عن العمل، إذا مشيت ستكون معرضاً للعنف، وإذا غرقت في التأمل ستصاب بالحزن، إذا راودك الشك ستصاب بالجنون، وإذا كنت حساساً ستبقى وحيداً.

ما هي أكثر التقاليد جمالا في أمريكا اللاتينية بالنسبة إليك؟

هنالك أسطورة تناقلها السكان الأصليون أو من يسمون بـ"لوس أنديهيناس" تحكي قصة خلق آلهة المايا للرجل والمرأة، تقول تلك الأسطورة إن الآلهة كانوا

يشعرون بالضجر لذلك خلقوا البشر، وقد حاولوا مرات كثيرة قبل أن يتمكنوا أخيراً من تشكيلنا على الصورة التي نحن عليها اليوم. وحسب الأسطورة، فقد صنعت آلهة المايا الرجل والمرأة من الذرة، لكن قبل ذلك كانت قد صنعتهما من الخشب، وكانا كاملين باستثناء عيب صغير لكنه كان خطيراً، فلم يكن في إمكانهما التنفس! وبالتالي لم يكن في مقدورهما الكلام.

وحين أفكر في تلك الأسطورة يخطر لي أنه إذا لم يكن في إمكانهما التنفس إذاً فهما لم يعانيا يوما من اليأس! إذاً هذه هي القاعدة إن أردنا الوقوف علينا أن نتعلم كيفية الوقوع، ولكي نربح علينا أن نتقن الخسارة، ولنكن على قناعة تامة بأن هذا جزء من الحياة؛ الوقوع مراراً والنهوض من جديد.

بعض الأشخاص يقعون ولكنهم لا يتمكنون من النهوض مجدداً، وهم الأشخاص الأكثر حساسية الذين يتأثرون بشكل أعمق من غيرهم أولئك الذين يؤلمهم العيش، أما الأوغاد أبناء العاهرات الذين يمتهنون إرهاب الإنسانية يعيشون حياة طويلة لأنهم ببساطة لا يملكون ذلك الجزء في الإنسان، وهو نادر هذه الأيام، القادر على جعل حياة من يمتلكونه جحيماً إن هم ارتكبوا أفعالاً شنيعة، وأتحدث عن الضمير بالطبع.

حدثنا عن مدينة مونتي فيديو وطبيعة الحياة فيها، وكيف ترى الأوروغواي اليوم؟

إذا طلب مني أن أختار مدينة صالحة للعيش

فسأختار مونتي فيديو، ليس لأني ولدت فيها؛ فالمرء لا يختار المكان الذي يولد فيه، أختارها لأنني ما زلت قادراً على المشي في شوارعها وتنفس هوائها، وهما فعلان لا تستطيع ممارستهما حالياً في معظم دول العالم. كانت معلمتي في المرحلة الابتدائية تقول لي: «تنفس يا طفلي، فالتنفس مهم جداً». وكذلك المشي، فأنا أمشي كثيراً، وفي الحقيقة أنا أمارس فعل المسير نحو الحياة، أمشي لساعات على الشاطئ وبهذا أوفر مبالغ طائلة، تلك المبالغ التي كنت سأنفقها على التحاليل والعلاج لأمراض كنت لأصاب بها لو أنني لا أمارس رياضة المشي.

لو تحدثنا قليلا عن الصداقة...

الصداقة هي وجه من أوجه الحب، وأعتقد أنها تقوم على قاعدة الصدق. أما الصداقة الأخرى التي تعرف عن نفسها بكلمات مثل أحبك جداً وكم أنت جميل...إلخ فليست بالصداقة الحقيقية، فالأصدقاء عندما يكونون أصدقاء حقيقين فهم يعمدون إلى قول ما يجب قوله حتى لو كان مؤلماً، لهذا فمن الصعب إيجاد الصداقة الحقيقية المبنية على هذه القاعدة، فذلك يتطلب المرور بمراحل معقدة. لكن الإنسان عندما يحب بحق، إن كان الصديق أو الحبيب، فهو يعشقه بكل ما فيه.

ما هي وظيفة الأدب والفن برأيك في يومنا الحاضر؟

حسناً، من الصعب أن أعطيك إجابة عن هذا، فعادة

النظرة العامة التي يملكها الأغلبية عن الفنانين والمبدعين أنهم متكبرون ومتغطرسون، وينظر إليهم وكأنهم وجدوا لإنقاذ الآخرين، وأن الله أعطاهم قبلة في المهد فصاروا المختارين إذ خصهم بملكة الإبداع. حسناً، لا أؤمن بكل هذا، بل أعتقد بأن أفعالاً بسيطة كالتعاطف إذا ما فسح لها المجال لتتحول إلى فعل فقد يكون تمريناً جيداً على التواضع وفي إمكانه أن يعلم الإنسان كيفية التعرف على نفسه وعلى الآخرين، وأيضاً فهو يساعدنا على اكتشاف عظمة الأشياء الصغيرة المتوارية عنا، وذلك يقودنا إلى إدانة العظمة الزائفة في الأشياء الكبيرة وسط عالم لا يملك القدرة على التمييز بين مفهومي العظمة والضخامة.

منذ مدة قال لي صحافي من مدريد: «عندما أقرأ ما تكتبه يخيل إليّ بأنك تضع عيناً على المجهر وأخرى على التلسكوب». وأعتقد أنه وصف جيد لما أحاول فعله عن طريق ملاحظة الأشياء التي لا يلاحظها أحد في العادة، ولكنها في الحقيقة تستحق أن تكون مرئية من الجميع.

إن عالم الأشياء الدقيقة المجهرية التي لا يراها أحد هو برأيي الذي يغذي عظمة الكون، وفي الوقت نفسه يجعلني قادراً على الوقوف على الأسرار العظيمة للحياة، سر الألم الإنساني والكفاح من أجل أن يكون هذا العالم للجميع وليس لأناس بعينهم، وأشياء أخرى كأهمية الجمال والروعة لأولئك الناس البسطاء الذين

يمتلكون هالة عظيمة من الروعة والرقة يمكن لها أن تتمثل في صورة أو في أغنية أو في محادثة عابرة. ذاك هو ذاته ما يملكه الأطفال، ولكننا، نحن البالغين، نجتهد في جعلهم نسخة عنا، وهذا ما يدمر حياتهم بالكامل. لكن في الحقيقة علينا نحن البالغين أن نتعلم من الطفل، الأطفال جميعهم وثنيون يعبدون الطبيعة. أذكر يوماً عندما خرجت في إحدى الصباحات، وكان لروحي يومها إيقاع حزين، فكنت قد فقدت صديقي ورفيقي مورغان الكلب الذي رافقني لسنوات، وبينما كنت أتمشى في الحي صادفت طفلة تبدو في الثالثة من العمر كانت تقفز باتجاه معاكس لاتجاه الطريق وتلقي تحية الصباح على النباتات والأشجار «بوينوس دياس باستو!» كانت تقول، في هذا العمر جميعنا وثنيون نعبد الطبيعة، وأيضاً شعراء ومبدعون، وبعد ذلك يتولى العالم الذي نعيش فيه تخريب أرواحنا، وهو ما ندعوه النمو والكبر.

من أقوال إدواردو غاليانو

«يوجد مكان وحيد يلتقي فيه الماضي بالحاضر، حيث يتعارفان ويتبادلان العناق، هذا المكان هو الغد».

«في أيامنا هذه يطلق على عملية التعذيب اسم "انتهاك"، وتدعى الخيانة "واقعة"، والانتهازية تسمى "براغماتية"، والإمبريالية "عولمة". وأما ضحايا الإمبريالية فيدعونهم بـ "الدول النامية"».

«من منا ليس سجين احتياجاته؟ من منا ليس سجيناً للخوف؟ فهنالك من لا يغمض له جفن بسبب تعطشه لامتلاك ما ليس في متناول يديه، وآخرون لا تغمض جفونهم خوفاً من خسارة ما يملكون».

«في النهاية، نحن نتاج ما نفعله لنغير ما نحن عليه».

أندريس أوبينهايمر يحاور باولو كويلو

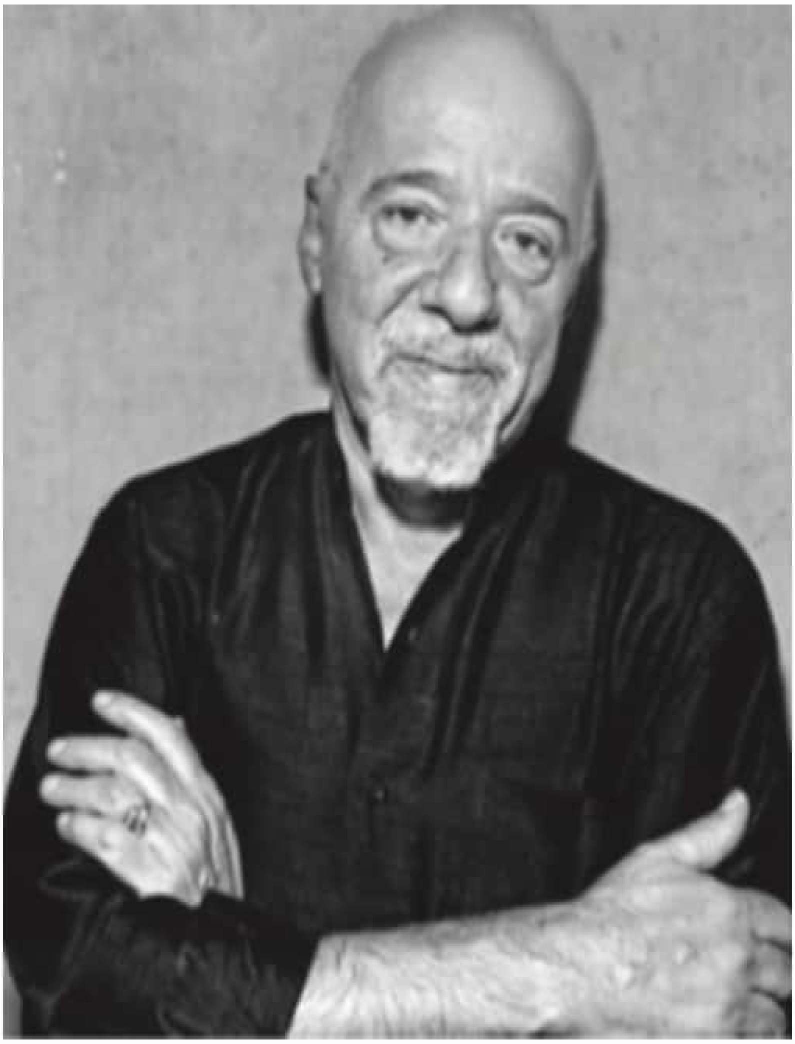

باولو كويلو (Paulo Coelho)

روائي برازيلي ولد في ريو دي جينيرو في 24 من أغسطس/ آب عام 1947 لعائلة كاثوليكية من الطبقة المتوسطة، ودرس في مدرسة الرهبان. وقد أظهر تعلقاً وميلاً للكتابة منذ الصغر، وقبل أن يحقق حلمه بأن يصبح كاتباً مشهوراً درس الحقوق، وعملَ صحافياً

وكتب كلمات لأغان مشهورة، ودرس مادة المسرح.

أجريت هذه المقابلة في العام 2013.

خمس وعشرون سنة مرت منذ أن أصدرت كتابك الشهير "الخيميائي"، ومنذ ذلك الحين توالت نجاحاتك، لكن ما يلفت انتباهي حاليا هو نشاطك على مواقع التواصل الاجتماعي، فأنت من أكثر الشخصيات متابعة في العالم إن كان على فيسبوك أو تويتر. ما الذي يشدك في مواقع التواصل الاجتماعي؟

حسناً، بالإضافة إلى أنها تعجبني، فهي طريقة إضافية تمكّن الكاتب من التواصل مع قراءه والاطلاع على وجهة نظرهم. وضع الكتابة يتغير يوماً بعد يوم، فالكاتب سابقاً كان يمرر أفكاره عبر الروايات فقط، أما الآن فيستطيع ذلك عن طريق منشور قصير على مواقع التواصل الاجتماعي.

قلت سابقا إن الكتابة في تويتر هي فن بحد ذاته، هل تعتقد بأن مواقع التواصل الاجتماعي تمثل حقا مستقبل الأدب والكتابة بشكل عام؟

نعم، أعتقد بأن مواقع التواصل الاجتماعي هي منصة الكتابة الأدبية المستقبلية، وعن فن الكتابة في تويتر فأعتبره أمراً بغاية الدقة والإتقان أن تتمكن من نقل فكرتك عبر 140 حرفاً فقط، وهذا يساعد الكاتب كثيراً في عملية اختصار واختزال أفكاره وتمريرها بأقل عدد ممكن من الكلمات. وأحاول الآن أن أكون أكثر مباشرة في كتبي من دون تكلف، وممارسة الكتابة على

فيسبوك أو تويتر تساعدني في ذلك كثيراً.

لديك ثلاثة عشر مليون متابع في فيسبوك، وتسعة ملايين في تويتر، عدد ضخم حقيقة، ولا شك في أن هذا يساعدك على استطلاع الوضع المعنوي لدى جمهور القراء، ما الذي تراه يشغل الناس بقوة هذه الأيام؟

نعم، فأنا أتابع المواضيع التي يناقشونها وتلك التي تلقى صدى لديهم وتثير اهتمامهم. على سبيل المثال؛ قمت بكتابة منشور منذ بضعة أسابيع يتناول موضوع الاكتئاب، مع انني لم أعانِ منه سابقاً، إلا أنني لاحظت أن الكثيرين يتحدثون حول هذا الموضوع، فطلبت من المتابعين أن يشاركوني تجاربهم في هذا الخصوص، وكانت دهشتي أني تلقيت أكثر من ألف تجربة من أشخاص يشرحون لي رؤيتهم الخاصة حول الاكتئاب من خلال تجاربهم، وخاصة أولئك الذين ما زالوا داخل الحالة ولم يخرجوا منها بعد. وبالطبع كان ذلك مفيداً بالنسبة إليّ، فهو يمكّنني من معرفة الطريقة التي يرى فيها الناس ماهية العالم الذي نعيش فيه وحاله من خلال هذا الفيض الهائل من المعلومات المتدفقة عبر وسائل التواصل، لدرجة استحالة إمكانية التركيز في موضوع معين لمدة طويلة، وبجميع الأحوال من المفيد للجميع أن يطلعوا على الأحداث من حولنا وليس الكاتب وحده.

نشرت حديثاً على تويتر عبارة أثارت اهتمامي

تقول فيها: «لنظهر الفرح والتفاؤل، فالمتشائم شخص زائف ومقصر». هل تعتقد حقاً بأن التفاؤل ممكن؟ هل برأيك يتجه عالمنا نحو الأفضل؟

لا أدري حقيقة، فأنا لست نبيًا لأعرف ما سيحدث مستقبلاً. لكن لنقل إن ثقافة التشاؤم قد وجدت يوماً في الأدب الكلاسيكي، وهنالك من يعتقد بأن مهمة الأدب هي نقل الناس إلى حالة من الاكتئاب، وفي حال أنتج الأدب شيئاً مغايراً سيصنفونه كأدب من المرتبة الثانية بحجة أن قراء ذلك النوع من الأدب لا يدركون واقع الحال.

لا شك في أننا مسؤولون عن الحياة التي نعيشها، فكل منا لديه مشاكله الخاصة وساعات ضيق يمر بها، لكن الواقع في النهاية يعتمد اعتماداً كبيراً على الوضع العام الذي نعيش فيه. يقول الفيلسوف خوسيه أورتيغا: «أنا هو أنا وظروفي، وإذا لم أنقذها فلن أنجو بدوري». إذاً يوجد جزء يعتمد على ظروفي الحياتية وآخر هو كيفية تعاملي مع هذه الظروف. أعتقد أن نظرتنا لا يجب أن تكون تفاؤلية أو تشاؤمية، بل واقعية، لأننا في النهاية من نصنع حقيقتنا.

لكن وفقاً لرواياتك التي قرأتها، فأنت شخص متفائل.

أنا واقعي أكثر من كوني متفائلاً، ولديّ الاعتقاد بأننا نملك الأدوات لتغيير ما نراه خاطئاً. عملياً، أحاول نقل تجاربي إلى الآخرين عبر كتبي، فقد مررت بلحظات

عصيبة خلال حياتي. في رواية "فيرونيكا تقرر أن تموت" على سبيل المثال قمت بإدخال تجربتي الشخصية في مستشفى الأمراض العقلية، فقد أدخلني والديّ إلى المصح ثلاث مرات لاعتقادهم بأني قد فقدت عقلي بسبب رغبتي في أن أصبح كاتباً، ففي تلك الفترة كان الجميع يعتبر أن الكتابة ليست مهنة يستطيع المرء أن يعتاش منها، سيما وأن تلك الحقبة اتسمت بالحكم الديكتاتوري ولم تتوفر فيها الأجواء الأدبية أو الثقافية الملائمة والداعمة للكتاب الجدد.

كتبت في موقعك على تويتر حول الحب، تقول: «لم يغيرني الزمن ولا مهنة الكتابة، لكن الحب استطاع أن يحولني إلى شخص مختلف».

ليس الحب بمعناه الأوحد أو الموجه إلى شخص معين، بل قصدت حب ما يفعله الشخص، وجدنا في هذا الكون لكي نتقاسم العاطفة ولنفعل أشياء نحبها فعلاً. المشكلة الكبرى أن الناس يمارسون أعمالهم لأن عليهم أن يفعلوا ذلك وليس لأنهم يحبون فعله، ومن غير المقبول أن يكون الأمر على هذا النحو؛ فلدينا حياة كاملة لنعيشها، ولا يتوجب علينا أن نحصر اهتمامنا بالمستقبل فقط، بل علينا أن نحترم معجزة الحياة التي نعيشها بالحب.

ألست متفائلا قليلا بما يخص مسألة الزواج؟ ففي معظم بلدان العالم أكثر من 50% من الأزواج ينفصلون، وأغلب العائلات تتكون من الأم العزباء

والأولاد، وأحياناً من شريكين غير متزوجين. أليس تفاؤلك نحو موضوع الزواج مبالغاً فيه مقارنة بالإحصائيات؟

لديَّ طريقتان لأجيب عن هذا السؤال، أعيش مع زوجتي منذ 35 عاماً، وهو زواجي الرابع، وأنظر إلى موضوع الطلاق على أنه مرحلة لم تعد تسير فيه الأمور إلى الأمام. حيث يختفي فيها عاملان أساسيان للاستمرار، وهما الرغبة والحب. مع ذلك أؤمن جداً بالزواج كشراكة بين زوجين، فالوحدة فضيلة إذا ما اختارها الفرد بكامل إرادته، وإن لم يخترها فعليه البحث عن رفيق للدرب، لأننا مفطورون بطبيعتنا على تقاسم الحياة ومشاركتها مع الآخرين. مشكلة الزواج العظمى تتمثل في سعي الشريكين إلى إبقاء كل شيء على ما هو، لكن الأمر لا يسير على هذا النحو، فالزواج تغير دائم ومستمر، وإذا تقبل المرء ذلك سيكون من السهل عليه الاستمرار في شراكة الزواج.

خلال إحدى زياراتي إلى بيروت عاصمة الدولة اللبنانية عقب انتهاء الحرب، وأعتقد بأنها كانت المرة السابعة التي تدمر فيها بيروت بشكل كامل، قمت بتوجيه سؤال للناس هناك، سألتهم: طالما تعيشون في مكان لا يمكنكم السيطرة على مجرى الأحداث فيه، إذاً فلماذا لا تغادرونه وتبنون بيوتكم في مكان آخر؟ وجاء جوابهم رافضاً للفكرة، وقالوا: «كلما دمرت سنعيد بناءها من جديد لأنها مدينتا ولن نغادرها مطلقاً». وخطر لي

أنها استعارة جيدة لمسألة الزواج، فالزواج الجيد يقوم على البناء وعلى إعادة البناء، أما قرار الانفصال إثر أول مشكلة تواجه الشريكين فهو ليس قراراً صائباً، بينما إذا تعامل الزوجان مع المشكلة على أنها مواجهة صحية وإيجابية فإنهما يسيران في الاتجاه الصحيح.

أحدثت مؤخرا زلزالا صغيرا في مجال السوق الأدبية، عندما قررت منح القراء والمتابعين كتبك بشكل مجاني على الإنترنت، ما الذي دفعك إلى فعل ذلك؟

أعتقد بأن الفعل النبيل يلقى صداه بين الناس. أعلمت القراء ومتابعيّ على شبكات التواصل الاجتماعي بإمكانية الحصول على كتبي مجاناً على شبكة الإنترنت، وأضفت أن في إمكانهم شراؤها إن أرادوا ذلك، هذا كل ما فعلته. الفئة التي ندعوها بـ "القراصنة" قامت بعرض الكتب مجاناً، وما لفت انتباهي بعد عرضي هذا أن نسبة مبيعات كتبي قد ارتفعت. علينا أن نثق بالآخرين، البعض سيخدعونك طبعاً، لكن الغالبية سيدعمون فعلك.

وأحد أهم الأسباب التي دفعتني إلى القيام بذلك هو توفير الكتب لمن هم غير قادرين على شرائها من المقيمين في أفريقيا على سبيل المثال، إذ يتمتعون باتصال جيد بالإنترنت لكن ليس لديهم مكتبة، فلماذا أكون أنانياً وأمنع عنهم إمكانية قراءة كتبي؟ وإذا كنا متفقين على أن الكتابة هي فعل تشاركي، إذاً فمن بسهولة فهم هذا الفعل الذي قمت به، فأنا عندما أكتب

على فيسبوك أو تويتر لا أتقاضى شيئاً مقابل ذلك، بل أفعل لأستمتع بذلك، وهذه المتعة هي مربحي الوحيد وهي تكفيني.

من أقوال باولو كويلو

«يتغير الأشخاص فقط عندما يكتشفون قدرتهم الداخلية على تغير مجرى حياتهم».

«الموت غداً سيكون مناسباً جداً، تماماً كما هو في أي يوم آخر».

«الذين يحبون وينتظرون مقابلاً لقاء حبهم، أولئك يضيعون وقتهم».

«أبسط الأشياء هي أجملها، الحكيم وحده يدرك ذلك».

«لولا وجود الخوف لم يكن للشجاعة من معنى، الصعوبة لا تكمن في إحساسنا بالخوف، بل في الاستمرار والنجاح على الرغم من ذلك الشعور».

مقابلة خوليو كورتاثار مع خواكين سيرانو
برنامج «في العمق» على القناة الإسبانية

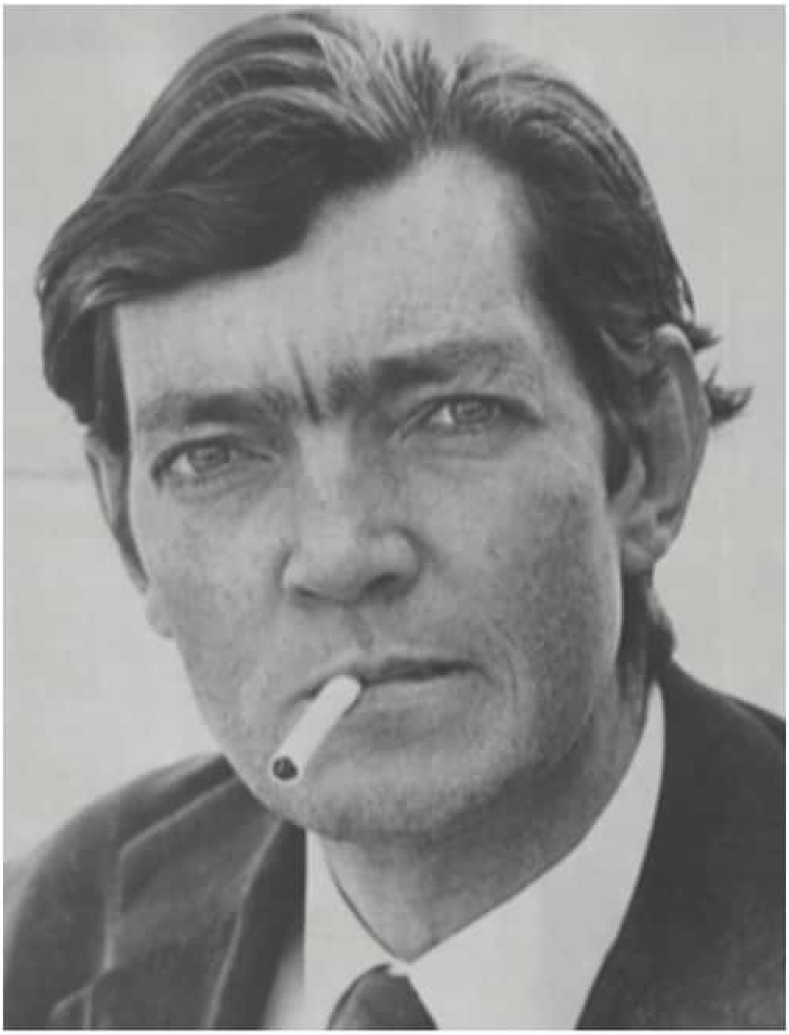

خوليو كورتاثار (Julio Cortázar)

ولد في بلجيكا عام 1914. أرجنتيني الأصل. واحد من أبرز أدباء ما يعرف بأمريكا الإسبانية.

عرف بتوجهه اليساري ودفاعه الشرس عن حقوق الإنسان. نشر أول مجموعة شعرية له عام 1938 تحت الاسم المستعار "خوليو دينس"، توفي في العام 1984.

أجريت هذه المقابلة في العام 1977.

سعادتنا كبيرة الليلة لأننا استطعنا أخيراً إتمام مهمة شاقة، أو بالأحرى الظفر بـ "صيدنا الثمين" بعد

سعي حثيث خلف أحد أبرز الأدباء في عصرنا، وكانت رحلة متعبة خضناها في سبيل العثور عليه بدأت بالطرق التقليدية عبر الهاتف والتلغراف ثم عن طريق البريد، ولاحقا تتبعنا أثره عبر جغرافيا البلاد؛ فقمنا بزيارة بيته الريفي في "سغنون" والذي وجدناه مهجورا، حيث كان خوليو قد سافر إلى المكسيك، ثم قمنا بتتبعه إلى نيروبي. وأخيرا حظيت بشرف لقائه في معرض الكتاب بفرانكفورت، ومع أنه اعتذر في البداية بشكل حازم عن إجراء المقابلة إلا أنه وافق لاحقا ليكون معنا في برنامج "في العمق" ولنتمكن من التعرف عليه عن قرب.

ولدت في "بروكسل" ـ بلجيكا، عند الساعة الثالثة ظهرا يوم 26 من أغسطس/ آب من عام 1914، واعتقد أنك ذكرت في إحدى المقابلات ما تحكيه والدتك بخصوص التوتر والخوف الذي يعتريك كلما سمعت أصوات الانفجارات، هل هذا صحيح؟

نعم، في الحقيقة ظروف ولادتي لم تكن غير عادية فحسب، بل دمغت بأحداث كبيرة، ولدت في بروكسل وكان من الممكن أن أولد في أي مكان آخر، كان ذلك متوقفاً على المهمة التي ستوكل إلى والدي آنذاك من قبل الحكومة. وبما أنه كان حديث الزواج ووصل بلجيكا من رحلة شهر العسل، فقد حتمت ولادتي في الفترة التي كان فيها القيصر يحضر قواته لاحتلال بلجيكا، والقصة التي كانت تحكيها لي أمي عن تلك

الفترة وشعوري آنذاك هي صحيحة، وقد أدت تلك الظروف التي ولدت ضمنها أن تصنع مني الإنسان الأكثر سلمية على وجه الأرض.

جاء في أحد كتبك أن والدك كان دبلوماسياً.

ليس تماماً، كان والدي خبيراً اقتصادياً في الأرجنتين، ولهذا فقد أوكلت إليه مهمة وطنية تتعلق باقتصاد البلد، وقد كانت على هامش مهمة سياسية لبعثة أرجنتينية في بلجيكا، لا أدري إن كان له منصب دبلوماسي لكنه عمل في القنصلية.

هل أجبرت الحرب عائلتك على المغادرة بحثاً عن أفق جديدة ومكان آمن؟

كان الأرجنتين بلداً محايداً في حرب عام 1914، كذلك في الحرب العالمية الثانية، ولذلك لم يكن لعائلتي مشاكل مع المحتلين الألمان، الذيم سمحوا لهم بالانتقال إلى بلد محايد آخر، وكان ذلك البلد "سويسرا" وبعد ذلك إسبانيا. ولذلك فقد قضيت ستة أشهر من طفولتي المبكرة في برشلونة، حتى عام 1918 حتى انتهت المقاومة، حيث تمكنت عائلتي من العودة مجدداً إلى الأرجنتين.

تلك السنوات المضطربة والمتغيرة لمرحلة الطفولة التي تترك لدينا خيالات معينة، هل لديك ذكريات واضحة عن تلك الفترة؟

ذكريات محددة وواضحة بالطبع لا، لكن أذكر بعض الصور التي كانت تشغلني وتثير فضولي، لأنني لم

أستطع تحديدها فسألت أمي عنها. كنت في العاشرة من العمر، أخبرتها بأنني أرى أشكالاً غريبة وألواناً ممزوجة وغير واضحة، فقالت إن ذلك يمكن أن يعود إلى الفترة التي قضيناها في برشلونة، حيث كانت تصحبني في كل يوم إلى ملعب ويل.

هل راودتك رغبة في زيارة ذلك المكان الذي ترك لديك تلك الذكرى؟

نعم بالطبع، في رحلتي الأولى إلى أوروبا في عام 1949، وكانت على متن القارب ومحطته الأولى كانت في برشلونة، كان أول شيء خطر لي فعله هو الذهاب إلى ملعب ويل. وطبعا الصورة التي كانت في ذاكرتي لم تنطبق على المكان، فالنظرة السحرية لذلك الطفل الصغير من أسفل لكل ما حوله تختلف تماماً عن نظرة رجل بطول 1.93 سنتمتر، حاولت الاحتفاظ بها لكني لم أفلح.

لنتحدث قليلا عن والديك، كان والدك من أصول باسكية (منطقة شمال إسبانيا)، أما والدتك فمن أصول فرنسية مع أن جديك ألمانيان، أليس كذلك؟

حسناً، من الناحية الجغرافية لنقل إن الكثير من الأرجنتينيين متشابهون، تعلم أن الأرجنتين هي بلد مستقبل للمهاجرين، وهذا ما أنتج نوعاً من "الكوكتيل" الإنساني للأعراق، وهذا من حسن الحظ، لأنني ما زلت أعتقد أن أحد أهم الطرائق التي تعزز الإنسانية هي التمازج العرقي الذي كلما كان شاملاً كلما تمكنا من إلغاء

مفاهيم كالقومية والوطنية والتعصب والتي أجدها لا تعني شيئاً على الإطلاق.

"الناس جميعهم هم الإنسان".

أتمنى أن يتحقق ذلك، أتمنى أن يكون "الإنسان هو الناس جميعهم"، لأنني ضد كل ما يمثل مساراً موحداً. هل تتخيل عالماً نكون فيه جميعا متشابهين؟ حتى النمل ليسوا كذلك، بل يتميزون عبر المهام الموكلة إليهم. الفردية والتميز طرق النجاة، وإلا لن يكون للحياة معنى. أنا عبارة عن مزيج عرقي نتج عن الهجرة، من جهة والدي فلقب كورتاثار هو لقب إسباني، كان جد جدي ممن هاجروا إلى الأرجنتين واستقروا في "سالتا" في الشمال، وعملوا في الزراعة وتربية المواشي. لست متأكداً تماماً، فلم أملك يوماً الفضول للبحث عن جذوري، ولا أملك معلومات دقيقة عن أجدادي. أما والدتي فهي أرجنتينية لأم ألمانية وأب فرنسي.

بعد عودة العائلة إلى الأرجنتين، استقرت في قرية قرب بوينوس آيريس، احكِ لنا عن الحي الذي نشأت فيه.

استقرت عائلتي في قرية تدعى "بانفيلد"، وهو اسم إنكليزي يعود إلى أحد المهندسين الإنكليز الذي ساهموا في إنشاء شبكة المواصلات في الأرجنتين، وهي قرية ريفية تبعد نصف ساعة سفر في القطار عن بوينوس آيريس، حالياً غدت جزءاً منها بسبب التوسع العمراني. أما عن الحي الذي كبرت فيه، فهو يشبه إلى حد كبير

الأحياء التي تصفها كلمات أغاني التانغو، طريق غير معبدة، الناس تتنقل على متن الأحصنة، كبائع الحليب الذي كان يحضر لنا الحليب على متن الحصان، وحركة نقل البضائع كانت تتم بواسطة عربات تجرها الأحصنة. وأيضاً كان هناك الفيرو كاريل، في زوايا الحي كانت تعلق مصابيح شحيحة الضوء بالكاد تنير الطرقات، ما كان يلائم العشاق واللصوص أيضاً. وكذلك كان له أثر في طفولتي التي اتسمت بالحذر الدائم، لأن الأمهات حينها كن يخشين كثيراً على الأطفال بسبب الوضع العام غير المستقر. ومن جهة أخرى، كان شعوري كطفل وكأنني في الجنة؛ حيث كان للمنزل حديقة كبيرة وكانت مملكتي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وهناك أكملت مرحلتي الابتدائية في إحدى المدارس الصغيرة في المنطقة وعشت هناك حتى السابعة عشرة من عمري.

معروف عنك أنك قضيت مرحلة الشباب كعازب وحيد، وما زلت على هذا الحال إلى هذا اليوم، تحب التواصل لا شك، لكنك في الوقت نفسه متمسك جداً بوحدتك، أهذا صحيح؟

حسناً، نعم، أن أكون مضطراً إلى الإجابة عن مثل هذا السؤال، أعتقد أنني وحيد بطبيعتي وأشعر بالراحة حين أكون وحيداً، وأستطيع العيش وحيداً لمدة طويلة. وكان ذلك منذ مرحلة المراهقة ثم في الشباب. أما الآن بعد أن انتقلت إلى أوروبا ولعدة أسباب اكتشفت

حقيقتي الداخلية، بمعنى ما كنت أظنه أنا على أنه حقي الطبيعي في العيش وحيداً تحول إلى شعور بالذنب، لذلك أحاول حالياً أن أنفتح أكثر على المحيط وأتواجد أكثر مع الأصدقاء، ولكن لدي صراع حقيقي وانفصال دائم في داخلي بين الشخص الذي يحاول أن يكون اجتماعياً وبين الآخر الذي يفضل الانعزال والوحدة، لكن للأسف فأحياناً يحدث أن أكون في تجمعات كبيرة يسودها تواصل اجتماعي رائع يشعرني بارتياح كبير، إلا أن تنبيهاً داخلياً من الشخص الانعزالي يهمس لي «يا رجل! أليس من الأجدى بك أن تكون في هذه اللحظات في منزلك تستمع إلى الموسيقى الهادئة؟».

بدأ شغفك بالقراءة منذ سنوات عمرك الأولى، حيث كتبت أول رواياتك في التاسعة من العمر في حديقة منزلك التي حدثتنا عنها سابقا.

نعم، كنت أقرأ كثيراً لدرجة أنه كان عليهم إخراجي بالقوة لألعب تحت الشمس، هذا ما قالته أمي، كان ذلك في الثامنة أو التاسعة من عمري، كنت كثير القراءة والكتابة، وقد قرر أحد الأطباء الذين عاينوني أن تمنع عني الكتب لمدة أربعة أشهر، وقد كان بمثابة تعذيب بالنسبة إليّ. لكن ولأن أمي امرأة حساسة وذكية فقد أعادت إليّ كتبي على أن أخفض عدد ساعات القراءة، وقد التزمت بذلك. لا شك كان لا بد حينها من إعادة التوازن لحياتي اليومية. أذكر أني كتبت رواية في التاسعة من العمر، ولكني لا أذكر الكثير عنها. كانت

رومانسية وحزينة جداً من تلك القصص التي يموت جميع أبطالها في النهاية. كنت طفلاً حساساً جداً وما زلت أستثار بسرعة، أنا من أولئك الذين يبكون في السينما ويتحاشون أن يراهم أحد. وكذلك كانت الأشعار التي كنت أكتبها في المرحلة الابتدائية رومانسية وحزينة، كنت أكتبها للفتيات ذوات الشرائط الطويلة على الشعر، كلما أغرمت بإحداهن، وكان لا بد من أن ينتهي حبي ذاك بالموت وفقاً لذلك الشعر. وكل أشعاري وقصصي في تلك المرحلة تخبئها أمي جيداً عني، لأنها تعلم أنني إذا ما وجدتها سوف أحرقها جميعها وهي لن تسمح بذلك.

ذكرت في إحدى المقابلات أنك لم تعد تذكر ملامح والدك جيداً بعد سن التاسعة. أهذا صحيح؟

حسناً، تعبيرك ليس دقيقاً. ليست ملامحه التي اختفت، بل هو من اختفى بشكل كامل ونهائي؛ فقد غادر منزلي عندما كنت في السادسة من العمر ولم يعد ثانية. وقد ترك والدتي في وضع مالي حرج مسؤولة عن طفلين، أنا وأختي التي تصغرني بعام واحد، وأمي كانت امرأة ضعيفة بكل ما تعنيه الكلمة، وعلى الرغم من أنها على قدر كبير من الثقافة إلا أنها كانت تعيش في ذلك العالم المنغلق، العالم الأرجنتيني القديم في عشرينيات القرن الماضي، حينما كانت المرأة مجبرة على البقاء حبيسة المنزل، ولم يكن في إمكانها مزاولة أي عمل أو اختصاص حر. كان في إمكان أمي أن تعمل

كمترجمة، فهي تتقن الإنكليزية والألمانية والفرنسية وبطبيعة الحال الإسبانية لغتها الأم. تخيل الفرصة التي كان في إمكانها استغلالها للعيش! لكن للأسف كان ذلك ممنوعاً، فاضطرت إلى العمل في المعهد الوطني لأن العمل الحكومي آنذاك كان محترماً من قبل الجميع، أما باقي الأعمال فلا. وهكذا أنشأتنا وسط ظروف اقتصادية ومعيشية صعبة، لأن والدي لم يعد ولم أسمع عنه مجدداً إلا حينما اتصل بي المحامي ذات يوم ليعلمني بنبأ وفاته.

وبسبب تلك الصعوبات المادية لم تستطع الالتحاق بالجامعة، بدأت ولكنك لم تستطع الاستمرار، أليس كذلك؟

تكاليف التعليم كانت باهظة حينها، فدخلت مدرسة غير رسمية، وفي الثامنة عشرة من عمري تخرجت وأعطوني شهادة مدرس، وبعد ثلاثة أعوام أعطوني شهادة بروفيسور؛ وهي شهادة منحتني الحق في التدريس في المدارس الإعدادية لأي مادة كانت، جغرافيا، تاريخ، لغة...إلخ. لكن تلك الشهادة لم تكن تلبي تطلعاتي، لذلك قررت الالتحاق بالجامعة لدراسة الفلسفة واللغة، ولكني لم أستمر، فقد كان عليَّ أن أستغل شهادة التدريس لكي أساعد والدتي في مصروف المنزل. لذلك فأنا غير حاصل على أية شهادة جامعية.

يظهر بشكل متكرر في أعمال كورتاثار فكرة العزلة وكذلك طريقتك المميزة برؤية الأشياء من زوايا

مختلفة، لديك نظرة كاشفة للأشياء.

بينما كنت تطرح سؤالك تبادر سؤالك إلى ذهني مقولة للشاعر "فيديريكو لوركا"، تعلم أن بعض الأقوال تبقى عالقة في ذاكرتنا تماماً كالوشم على الجسد، وأعتقد أنني أحمل بعض الأفكار كوشم في ذاكرتي. يقول لوركا في أحد أشعاره: "لست أحد... أنا مجرد نبض جريح أستشعر الأشياء بشكل مختلف". أعتقد أن الشاعر لا يكتفي بالمعنى الظاهر للأشياء، بل يبحث عن المعنى الآخر الباطن لها، وأحياناً يجده ومرات أخرى لا يفلح في ذلك، لكن لوركا دائماً كان ينجح في إيجاده.

ويبدو أنك وجدته كذلك، ألم تكتشف بعد العالم الكورتاثاري الذي نجح في جعلنا نرى ونفهم أشياء لم يكن في مقدورنا أن نراها من قبل؟

إذا كنت قد نجحت فعلاً عبر كتاباتي أن أجعل قرائي وأصدقائي يرون الأشياء بمنظور مختلف فذلك سيكون أكبر مكافأة أنالها في حياتي، شخصياً أؤمن بالماورائيات وأتابع بحثي عنها.

تتركز أفكارك حول الواقعية والخيال، وتملك خيالا متقدا حقا. اشرح لنا نظريتك حول الواقعية كما تراها.

في الحقيقة، أفكاري ليست عبقرية وليس لديّ الكثير منها، أنا لا أعرف كيف أفكر حقيقة، بل أنني أرى أشياء معينة وبعدها بشكل طبيعي تحدث عملية ما في ذهني تضغط بموجبها تلك الأفكار وترتبها وتنسقها

وتعطيها صيغة معينة. يدهشني ذلك الذكاء الفطري، عندما أتحدث مع أحد الأشخاص الضليعين وأراقب كيف يجمعون بذكاء الأفكار وفق سيكولوجيا معينة ثم يستخلصون منها نتائج ويعيدون الكرة، أعجب بذلك حقاً، شخصياً لا يمكنني فعل ذلك. لا أعرف أن أناقش أحداً، في إمكان أي شخص أن يغلبني في النقاش، وأقف عاجزاً عن الدفاع عن وجهة نظري. ولكن حينما أبدأ في الكتابة أجد دائماً طريقة أخرى لأعبر من خلالها عما أريد قوله. وأعتقد أن علاقتي مع القراء تبدأ هنا وليس عبر الأفكار التي أطرحها بحد ذاتها. لا أدري إن كنت أجبتك عن سؤالك أم أني ابتعدت جداً عنه. في الحقيقة، الواقع كان دائماً ممزوجاً بالخيال بالنسبة إليّ، وتأكدت في عمر الثانية عشرة أن هناك أشياء خيالية تحدث لي أتقبلها بصمت وأمزجها بالواقع دون ضجة، لأنني تيقنت حينها أن ذلك لم يكن يحدث للآخرين.

من أقوال خوليو كورتاثار

«ما العمل إذا كان ما نرغب فيه يختلف تماماً عما يتوجب علينا فعله!».

«أصعب الأمور حقيقة هي تلك التي يعتقد الجميع أن في إمكانهم إنجازها في أي وقت».

«لم تخسر شيئاً على الإطلاق إن كانت لديك الشجاعة لتعترف أنك قد خسرت كل شيء وعليك البداية من جديد».

«الأمل هو ملك الحياة، بل هو القناع الذي تلبسه».

«إذا تعثرت سأمد لك يد العون، وإن لم أستطع النهوض سأمكث بقربك».

مقابلة أجراها الصحافي خيرمان كاسترو
مع غابرييل غارسيا ماركيز
على قناة RT الكولومبية

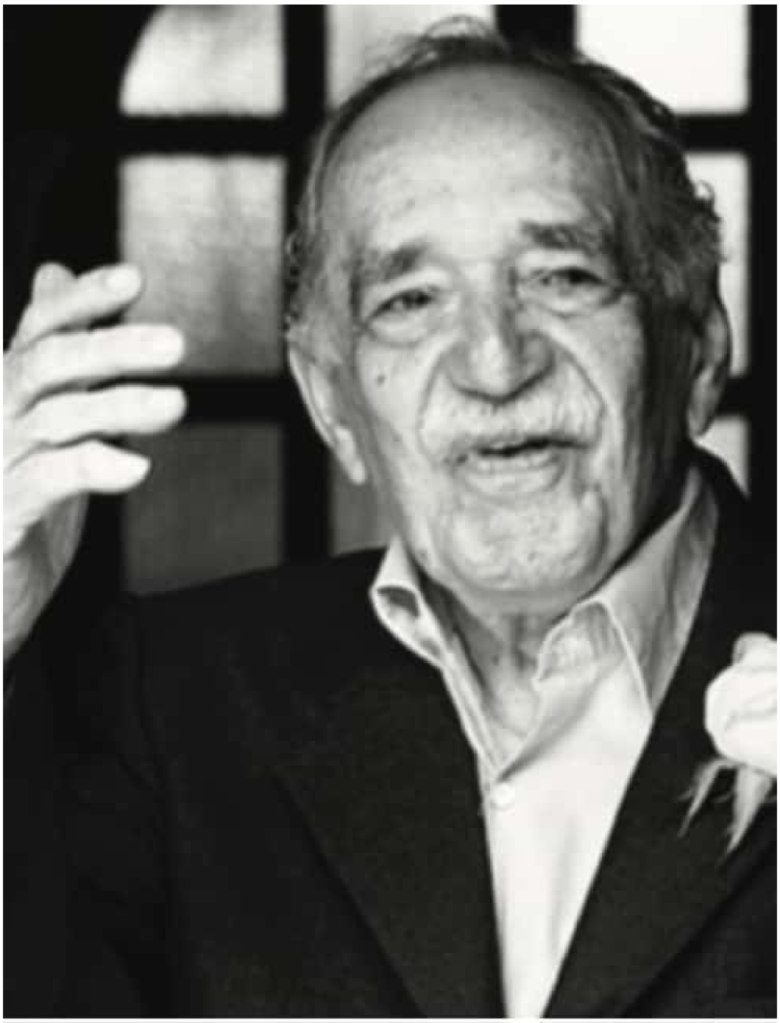

غابرييل غارسيا ماركيز (Gabriel García Márquez)

ولد في أراكاتاكا ـ كولومبيا عام 1927، عرف عنه توجهه اليساري وكان من المقربين للرئيس الكوبي فيديل كاسترو.

حصل على جائزة نوبل للآداب عام 1982. توفي في المكسيك عام 2014 إثر مرض عضال عانى منه طوال خمسة عشر عاماً.

أجريت هذه المقابلة في العام 1976.

عشرات الصحافيين حاولوا إجراء لقاء تلفزيوني مع غابرييل غارسيا ماركيز، ولكنه رجل خجول جداً وقد رفض بشكل متعمد وحازم إجراء أي منها. على الرغم من ذلك فقد قرر هذا العام أن يحكي لنا جزءاً من حياته، ولهذا قد اختار محطة البرامج الكولومبية وصحافياً كولومبياً أيضاً، وكان الشرف لي أنا خيرمان كاسترو ولمحطة RT.

من خلال قراءة مؤلفاتك يمكن أن نلاحظ أن دخولك إلى عالم الأدب أو العالم بشكل عام لم يكن سهلاً، بل كان عنيفاً وصعباً بعض الشيء؛ فقد قدمت إلى بوغوتا في الثالثة عشرة من العمر. ما هو الدافع الذي جعلك تغامر بالمجيء من قرية شعبية كما هي لاكوستا إلى بلد مختلف تماماً من الناحية الثقافية مثل بوغوتا؟

أولاً، من الصعب جداً تخيل ما كانت عليه كولومبيا في العام 1943، وهي الحقبة التي تتحدث عنها حضرتك. لم تكن كولومبيا واحدة أينما ذهبت، بل كانت متعددة؛ هكذا كنت أراها. حينها كنت أعتقد أن كولومبيا هي بوغوتا فقط، وأرجع ذلك إلى أنه في ذلك الوقت كان على كل من يريد الحصول على منحة دراسية يتوجب عليه القدوم إلى بوغوتا. كنت مقيما في بارانكيجا، وكان عليّ القدوم إلى بوغوتا لتقديم امتحان القبول، وهذا ينطبق على كل الراغبين في المشاركة في

مسابقة المنحة تلك أينما كانوا في أنحاء البلاد.

كنت أعيش في منزل يولد فيه طفل كل عام، من الصعب عليّ تحديد الأعمار جيداً، لكن إذا كان عمري في ذلك الوقت 13 عاماً فأنا متأكد من أنه كان لدي 8 أخوة. جاء وقت كان لا بد لي فيه من مغادرة المنزل، وكان لذلك فائدتان، الأولى على الصعيد الشخصي، وهي "النجاة عوماً" كما يقول المثل، أما الأخرى فكانت لتخفيف العبء الثقيل عن العائلة. لهذا قررت مغادرة بارانكيجا لتقديم امتحان قبول للمنحة في بوغوتا العاصمة، كان ذلك عام 1943 وكنت في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، لست متأكداً. وفي الحقيقة، لا أحد يملك الخبر اليقين حول تاريخ ولادتي. اشترى لي والدي تذكرة السفر، وكان القارب آنذاك وسيلة النقل عبر نهر ماكدالينا. بشكل طبيعي كانت الرحلة تستغرق 8 ساعات، لكن إذا كانت حالة الطقس سيئة يمكن للقارب أن يتوقف حتى 16 مرة، وكان توقف القارب بالنسبة إليّ بمثابة فرحة عارمة. استغرقت رحلتنا عشرة أيام. عند الوصول كان علينا أن نستقل القطار. كان قطاراً بطيئاً جداً، تشعر وكأنه يتشبث بأظافره في الجبل لكي يستطيع الصعود. عند الظهيرة كان يجتاز منطقة السافانا، وكانت تجربة رائعة جداً عبور السافانا في قطار بطيء بالكاد يتحرك ويتنفس بصعوبة، ثم فجأة يبدأ بالإسراع وكأنه حصان. يتوقف في محطات حيث يبيعون دجاجاً أصفر وبطاطا مهروسة. كان الطقس

بارداً جداً، وأجزم أنه يصعب على الذين ولودوا هنا في المناطق الحارة أن يتخيلوا إحساس البرد. أنا لم يسبق لي شخصياً أن اختبرته. بالإضافة إلى الإحساس الغريب الذي انتابني في المرتفعات في ذلك العلو الشاهق حيث بالكاد يستطيع المرء أن يتنفس.

وصلت محطة السافانا في بوغوتا وحيداً عند الرابعة عصراً. في مقابلات عديدة حين كنت أسأل أي مدن العالم تدهشني أكثر، كنت أجيبهم: «بوغوتا!». هي أكثر مدينة تركت أثراً في نفسي، وصولي إليها عند الظهيرة، كانت مدينة شاحبة مغطاة بالرماد، ثم الأمطار الغزيرة والتراموواي الذي يطلق شرارة كهربائية من جانبيه بينما يتمسك الركاب جيداً بداخله. الرجال جميعهم كانوا يرتدون ثياباً سوداء مع قبعات طويلة، ولم يكن هناك امرأة واحدة في الشارع، وهذا يعد أمراً في غاية الخطورة بالنسبة إلى الكوستينيوس (نسبة إلى من يعيشون في منطقة لاكوستا). كنت أحمل حقيبة "باوون"، وصرت أسأل عمن يمكنه أن يحمل لي الحقيبة إلى نزل في الشارع العاشر، كان شارعاً ضيقاً جداً. وصلت إلى النزل ودخلت الغرفة واندسست في الفراش، وما أن غمرت جسدي بالغطاء حتى أحسست وكأنه مبلل تماماً، وكان ذلك من شدة برودة الطقس. العيش في بوغوتا لم يكن سهلاً، بل كان بمثابة امتحان صعب.

كيف استطعت الحصول على المنحة الدراسية في

المعهد الوطني، مع أنه في ذلك الوقت كان مجموع المتقدمين يبلغ ثمانمئة بينما كان هناك ثلاثون مقعداً فقط؟

الحقيقة أن حظي الجيد، الذي لطالما اعتمدت عليه، لعب دوراً في ذلك، لا أكثر. ومن الحوادث الأخرى التي كانت حاضرة بقوة كان عندما نشر محرر جريدة "الإسبيكتاذور" في إحدى الأعمدة ملاحظة تفيد بأن الجريدة ستمنح فرصة لأولئك الكتاب الناشئين ممن لم ينصفوا بعد، تدعوهم فيها إلى إرسال قصصهم إلى الجريدة لكي يتم نشرها إن حظيت بقبول رئيس التحرير. وقد كنت حينها قد أنجزت قصتين، فأرسلتهما في ظرف إلى الجريدة، كان يوم الاثنين أو الثلاثاء على ما أذكر، وكنت واثقاً كل الثقة من أنهم سوف ينشرونها خلال شهر أو شهرين، وفي السبت التالي مباشرة خرجت إلى الشارع ودخلت مقهى في الشارع السابع، وعندها دهشت لرؤية أحد الأشخاص يقرأ جريدة "الإيسبيكتاذور" وكان عنوان قصتي يمتد على ثمانية أعمدة كاملة "عطلة نهاية الأسبوع"، ولكن المأزق تمثل في أنني لم أملك خمسة سنتات لكي أشتري الجريدة. اتجهت إلى النزل مجدداً وأخبرت أحد الأصدقاء بأنني قد رأيت للتو قصتي منشورة في جريدة "الإيسبيكتاذور"، فتعجب لذلك؛ فقد نشرت خلال فترة قياسية ولم يكن قد مر على إرسالي لها سوى بضعة أيام. كان يملك السنتات الخمسة، فذهبنا واشترينا

الجريدة لنتأكد فعلاً من أن قصة "عطلة نهاية الأسبوع" منشورة. بعد أيام قليلة كتب إدواردو سالاميا، وهو محرر جريدة "الإسبيكتاذور"، في زاويته الأسبوعية "البلد والعالم" ملاحظة جاء فيها: «أرجو أن يكون قراء قصة "عطلة نهاية الأسبوع" قد انتبهوا إلى ظهور كاتب جديد لم نعرف عنه سابقاً، وسيكون له مستقبل عظيم». وكان انطباعي عندما قرأت الملاحظة بأنني في مأزق كبير، فلا يمكنني التراجع بعد هذا وعليَّ أن أتابع الكتابة طوال حياتي.

كنت مبعوثاً لجريدة "الإسبيكتاذور" إلى سويسرا لتغطية قمة الدول الأربع العظمى. أي طريق تابعت هناك؟

لم أعد من تلك البعثة إلا بعد انقضاء ثلاث سنوات، فقد كان من غير المعقول أن أصل إلى جينيف وأرجع مباشرة بعد انتهاء القمة إلى بوغوتا، فقررت المكوث وسافرت إلى روما وبقيت فيها ما يقارب العام، ثم توجهت إلى باريس. ويوماً كنت مع الصديق ميندوسا في أحد المقاهي وكان يقرأ جريدة "لوموند" الفرنسية، فقال لي: «هنا خبر يمكن أن يكون مزعجاً بالنسبة إليك، لقد أقفلوا جريدة "الإيسبيكتاذور"!»، فقلت له حينها إنه أجمل خبر سمعته في حياتي، فلم أكن أرغب في العودة إلى كولومبيا في تلك الفترة. كنت أملك تذكرة العودة إلى كولومبيا، فاتجهت إلى مكتب الحجوزات وألغيت الحجز واسترجعت قيمته، أعطوني المبلغ نقداً، ثم

اتجهت إلى فندق فلاندو وصعدت إلى غرفتي ووضعت النقود في درج طاولة النوم جانب السرير. وأخيراً بدأت بتحقيق أول حلم في حياتي، وهو تفرغي للكتابة دون أن يزعجني أحد. وهنا شرعت بكتابة "ليس لدى الكولونيل من يكاتبه". هذه الرواية هي نوع من القصص الدائرية "التي تعض ذنبها كما يقال"، كنت على علم بقصة جدي مع التعويض الذي أمضى حياته في انتظاره ولم يأتِ، عن اشتراكه ككولونيل في الحرب الأهلية، وبعد أن فارق جدي الحياة قالت لي جدتي: «لقد مات جدك وهو ينتظر تعويض نهاية الخدمة، ولكنه لم يأت. لا بأس، أنا متأكدة من أن أحفاده سيستلمونه، وإن لم يفعلوا سيصل إلى أولادهم دون شك». لكن التعويض لم يصل أبداً. وهنا ولدت فكرة الرواية، وفي البدء كنت أعزم على كتابتها ككوميديا، لكن بعدما بدأت الكتابة حدث شيء ما بدل رأيي، فخلال انقطاعي ذلك للكتابة في غرفة الفندق كنت أخرج من الدرج يومياً ما يكفيني من المال لشراء الطعام، أنزل إلى مطعم عند الزاوية ثم أعود وأصعد مجدداً لأتابع الكتابة. وفي يوم مددت يدي إلى الدرج ولم أجد أي قرش فيه، فتبدل حالي، وعوض الكوميديا أعدت كتابة الرواية بشكلها الحقيقي، فكنت أنزل من الطابق السابع لأرى إن كان أحد من الأصدقاء الذين قد بعثت لهم برسائل أطلب فيها عونهم المادي قد بعث لي بالرد، ثم أعود لأكتب صفحة أخرى في القصة.

والمدهش حقاً شعور راودني بان أحداً من أصدقائي لن يرد عليَّ نهائياً، وهكذا جاء وقت كنت أكتب فيه ما أعيشه تماماً وحرفياً، لذلك أعتقد، وبغض النظر عما يقوله النقاد، فإن أفضل أعمالي على الإطلاق هي رواية "ليس لدى الكولونيل من يكاتبه" لأنني كتبت فيها الحقيقة كما كانت تحدث فعلاً.

تلك الحقبة التي عشتها في باريس أقارنها مع حقبة مشابهة عشتها في المكسيك بعد مغادرتك باريس بسنوات، عندما كتبت رواية "مئة عام من العزلة"، حيث كان عليك أن تترك عملك في إحدى المحطات التلفزيونية لتتفرغ للكتابة، ومررت بظروف مادية صعبة. ويستحضرني الآن ذلك الموقف الذي حدث لك عندما انتهيت من كتابة "مئة عام من العزلة" وأردت إرسالها عبر البريد إلى الأرجنتين. هلا حدثتنا عن ذلك؟

في الحقيقة كانت رواية "مئة عام من العزلة" تزن أكثر بكثير مما يتخيل المرء! لقد كتبت الرواية في المكسيك بين الأعوام (1965-1967). كانت حقبة مدهشة، صحيح أنها كانت صعبة لعدم امتلاكنا المال، لكن في المقابل كانت فترة ذهبية بالنسبة إليَّ ككاتب، لأنني كنت أكتب كقطار سريع، وهذا في الواقع أفضل ما يمكن أن يحدث للكاتب. عندها ألحت عليَّ الأفكار وكان لا بد من البدء في كتابتها. أوكلت إلى زوجتي مرسيديس مسؤولية المنزل، ووافقت بالطبع لأتفرغ

بشكل كامل منذ ذلك الحين للكتابة، والآن عندما أسأل أولادي عن تلك الفترة يقولون لي إنهم يتذكرونني كرجل منعزل طوال الوقت في غرفته، بينما كنت أشعر بأنني المخلوق الأكثر اجتماعية وإنسانية على وجه الأرض!

الآن أدرك أنني لم أخرج من غرفتي طوال ثمانية عشر شهراً! خرجت لمرة واحدة عندما أخبرتني مرسيدس بأنه لم يعد في إمكانها التصرف، فقد نفد آخر قرش في حوزتها. فقمت بأخذ سيارتي إلى مكتب الرهونات "مونتي دي بيذاد" ورهنت السيارة، وقلت لها: «هاكِ مالاً لعشر سنوات قادمة!». لكن المبلغ لم يكفِ سوى لثلاثة أشهر. وواصلت الكتابة، بعدها اتصل صاحب المنزل يطالب بأجر ثلاثة أشهر متأخرة لم ندفعها، وأذكر كيف أن مرسيدس غطت سماعة الهاتف بيدها وسألتني عن الوقت المتبقي لكي أنجز الرواية، فقلت لها: ستة أشهر، وعندها قالت للمالك إننا سندين له بستة شهور إضافية. فسألها المالك إن كانت ستدفع كامل المبلغ بعد سبعة شهور، فقالت نعم. فقال لها: لا بأس إذا أعطيتني كلمة شرف، فلا مانع عندي من الانتظار. فقامت بتغطية السماعة مجدداً: «يقول كلمة شرف! هل أنت واثق من أنك ستنهي الرواية في ستة شهور؟». فقلت لها: «نعم».

وفعلاً، بعد سبعة شهور دفعنا له المبلغ كاملاً، فبعد أن انتهيت من الكتابة باشرت العمل في مجال الإعلانات

لكي أوفي الديون. وفي اليوم الذي ذهبت وزوجتي إلى البريد لإرسال الرواية، وكانت من سبعمئة صفحة، فقام عامل البريد بوزنها وأخبرنا بأن أجرة إرسالها من المكسيك إلى الأرجنتين، بحسب وزنها، 82 بيزو، وكنا نملك 54 بيزو فقط. فقمنا بقسم الكتاب إلى نصفين، وقلت لموظف البريد: «زنها لي حتى مبلغ 54 بيزوا!». وهكذا فعل. ثم وضعتها في ظرف كبير وختمته وأرسلتها أخيراً.

وعدنا أدراجنا وبحوزتنا الجزء المتبقي من الرواية، وهناك قامت مرسيدس بإخراج كل ما تبقى لدينا في المنزل مما يصلح لرهنه، فأخرجت المدفأة الكهربائية التي كنت أستخدمها عند الكتابة، شخصياً يمكنني الكتابة في أي ظرف كان، لكن ليس في الجو البارد! ثم الخلاط الكهربائي الذي كانت تستخدمه لصنع عصير الفواكه الطبيعية للأطفال، وكذلك مجفف الشعر خاصتي، وذهبت بكل هذا إلى مكتب الرهن وأعطوها مقابل كل ذلك 50 بيزو، وهنا ذهبنا مرة أخرى لإرسال ما تبقى من الرواية إلى الأرجنتين، لكننا لم نكن قد لاحظنا بأن الجزء الذي أرسلناه كان القسم الأخير من الرواية وليس الأول.

ولم تعد بعدها إلى كولومبيا. يقولون إنك أدرت ظهرك للبلد أو تجاهلته بابتعادك هذا.

ليس الأمر على هذا النحو، الحقيقة أنني لم أعد إلى كولومبيا بسبب الظروف التي فرضت عليّ ذلك وليس

لأي سبب آخر، والذين ينتقدونني بسبب إقامتي خارج كولومبيا يركزون على فكرة أن المعيشة خارج كولومبيا هي أفضل مما هي عليه في الداخل. أؤكد لك بأنني لم أشعر بالراحة يوماً إلا في كولومبيا، المحبة التي يظهرها الناس لي هنا لا يمكن أن أجدها في أي مكان آخر، أصحاب المطاعم لا يقبلون أن أدفع فاتورة الطعام، أصحاب سيارات التاكسي أيضاً، عمال المقاسم. قبل فترة طلبت إجراء مكالمة دولية، فقالت لي عاملة المقسم: «لدينا إضراب، لكن أنت يمكنك الاتصال». أنا لم أنسَ بلدي، إنه كلام فارغ. وأمر مهم أود إضافته هنا؛ في أي مكان أكون فيه وأمارس فعل الكتابة فأنا أكتب رواية كولومبية بلا شك، فراويتي لا تصبح يابانية مثلاً إذا أنا كتبتها في اليابان. دائماً وأبداً، ما أكتبه أنا هو نتاج كولومبي خالص.

من أقوال غابريل غارسيا ماركيز

«ولادة الإنسان لا تقتصر على تلك التي يغادر فيها رحم الأم، فالحياة تجبره مراراً على إعادة خلق نفسه».

«أفضل ما تعلمته عند بلوغي الأربعين، هو أن أقول "لا" عندما أريد قولها».

«يؤلف الكاتب كتابه لكي يشرح لنفسه ما يصعب عليه شرحه عادة».

«لا أعيد قراءة كتبي لأن ذلك يخيفني».

إيزابيل الليندي

إيزابيل الليندي (Isabel Allende)

كاتبة تشيليّة ولدت في أغسطس/ آب عام 1942. غادرت تشيلي مع عائلتها عام 1975 بعد مقتل عمها الرئيس سالفادور الليندي إثر الانقلاب العسكري الذي قام به أغوستو بينوشيه. وفي المهجر كتبت أولى رواياتها التي لاقت نجاحاً كبيراً باسم "بيت الأرواح"، وتوالت نجاحاتها فأصدرت "الحب والظلال" و"إيفا لونا" و"باولا" الذي أهدته إلى روح ابنتها المتوفاة إثر مرض

البورفيريا. تعد الروائية الأولى في أمريكا اللاتينية التي كسبت مؤلفاتها شهرة عالمية. تقيم حالياً في مدينة سان رافائيل في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية. تتحدث هنا في هذا اللقاء عن الإبداع والمراحل التي مرت بها من بين مواضيع أخرى.

أجريت هذه المقابلة في العام 2015.

عن العملية الإبداعية

تحدث في مكان ما في الفكر والجسد خارج سيطرتنا، يتساءل المرء أحياناً عن السبب الذي يدفعه إلى الكتابة عن موضوع معين خلال وقت محدد، لكنه لا يملك إجابة واضحة، فلكي أصدر كتابي الأول، على سبيل المثال، استغرق مني ذلك تسعاً وثلاثين عاماً. ولا أدرك حتى الآن ماهيّة التكنيك أو العملية الإبداعية التي مررت بها لأصل أخيراً إلى إنجاز روايتي، أعتقد أنها أشبه بنمو الجنين داخل الرحم، وفي الوقت المناسب بعد اكتمال القصة ونضوجها يحين موعد ولادتها لترى النور، ولا يمكن لأحد أن يحدد التوقيت، فذلك يمكن أن يحدث في سنوات أو خلال دقائق... لا أحد يعلم.

عن المراحل التي مرت بها

أعتقد أنّ ما ينقصني حقيقةً هي المبررات لأستمر في الكتابة، وأنا دائمة البحث عنها في كل كتاب أنجزه، لأن تلك العملية تعبر عن المرحلة التي أخوضها حالياً، وهي الشيخوخة. أرى أن هنالك لحظات في الحياة أشبه بالعتبات التي علينا اجتيازها لفتح أبواب جديدة،

فالمراهقة على سبيل المثال تمثل انتقالنا من الطفولة إلى البلوغ، كذلك عندما تنجب المرأة أو يصبح الرجل أباً فهي مرحلة تفرض علينا توجهاً مختلفاً، أيضاً حين تدخل النساء في سن اليأس ومن ثم الشيخوخة وهي المرحلة التي يترك المرء فيها جزءاً من حياته ويعبر باتجاه الجزء الأخير منها، وبالمناسبة فهي تتشابه مع مرحلة المراهقة من حيث المبدأ، حيث يأتي الوقت الذي تشعر فيه بأنه عليك أن تترك كل شيء خلفك وتهيم مغمض العينين نحو المجهول.

طريق الروح

أؤمن بأن هنالك دائماً فرصة للشفاء، عندما نمر بأزمة ما فإن اللحظات الأولى ستكون الأصعب على الإطلاق، لكننا لا ندرك بأننا نتعلم شيئاً جيداً خلال تلك الفترة بالذات، وأنها تمثل ذخراً معرفياً سيفيدنا لاحقاً، كما إنها فرصة للنضوج أيضاً. في الفترة التي عانيت فيها إثر وفاة ابنتي على سبيل المثال، لم أستطع رؤية أي شيء إيجابي في تلك المعاناة، بل شعرت بفظاعتها. لكن مع مرور السنين أدركت بأنني تعلمت أشياء رائعة من كل ذلك الألم لم أكن لأتعلمها بأي حال من الأحوال لو لم أخض تلك التجربة. فالذي كنت أراه فظيعاً ولا يحتمل تمخض عنه نتائج جيدة في النهاية. لذلك علينا ألا نكون متشائمين، لأن كل شيء متغير ومتجدد تلك هي دروس لنا، وكل مرحلة هي خطوة في الطريق اللانهائية للروح.

تغيّر المسار

يحدث أن تضعك الحياة في ظروف صعبة تفرض عليك تغير مسار حياتك، يكون لديك مخطط ما لكنك تُجبر على تغيير اتجاهك والبداية من جديد. وقد حدث ذلك لي عدة مرات خلال حياتي، أولها كانت عندما غادر والدي المنزل وكنت لا أزال طفلة، واضطرت أمي إلى العودة إلى منزل والديها حيث أشرف جدّي على تربيتي. وثانيها عندما رزقت بأطفالي. وبعدها كانت مغادرتنا تشيلي لنعيش في فنزويلا إثر الانقلاب العسكري. ثم بعد ذلك أغرمت بأمريكي وانتقلت معه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، تبع ذلك وفاة ابنتي، وأخيراً عندما أصبحت كاتبة. جميعها كانت تغيرات جذرية، ومفاجئة حدثت دونما تخطيط. وهذا عزّز قناعتي ليس فقط في أنه من غير المجدي التخطيط لشيء، بل بضرورة أن نكون منفتحين على الحياة وأن نسمح لها بالاقتراب منّا ونعيش من أجلها حبّاً بالمغامرة والعيش يوماً بيوم. حينما نجد أنفسنا في ظرف معيّن فإنّ قدرات خفية لم نكن نعلم بوجدها فينا تظهر، وأقول خفية لإيماني بأننا جميعاً نملكها وهي تنتظر الفرصة الملائمة للتفجر والظهور وتكون المسؤولة عن التحوّل الجذري الذي نخضع له.

جدّي

كان لجدّي شخصية قوية، بطريرك حقيقي، وكان ملهمي الذي استعنت به لأرسم إحدى شخصيات روايتي

"بيت الأرواح" وهو "ستيفان ترويغا". كان عارفاً بالتاريخ، يحكي القصص ويردد أشعار طويلة عن غيب. قصّ عليّ جميع حكايات العائلة ومغامراته الشخصية كذلك. عشرون عاماً مضت منذ بدأت بالكتابة وما زلت إلى اليوم أستقي تفاصيلَ وأفكاراً لأدخلها في كتاباتي مما حكاه جدي يوماً.

الشباب

يُحكى كثيراً عن أن الصداقة والتعاون هي قيم يفتقد لها عالمنا الحالي، لكني لا أعتقد بصحة ذلك، بل أؤمن بأن تلك القيم النائمة فينا تعود للظهور مع كل أزمة نواجهها، ففي أحيان كثيرة لا تكون لدينا الحاجة إلى استعمالها، لكن إذا حدث زلزال في تشيلي على سبيل المثال فإن التعاون والدعم يظهر بشكل رائع، وهو شيء لا يمكن أن نراه في الأحوال الطبيعية، لكنّ القيم موجودة لدينا جميعاً، وبالأخص لدى الشباب الذين ما زالوا يتحلون بالشجاعة والصدق والتعاون والفضول تماماً كما كانت لدينا نحن في شبابنا وكما وجدت لدى الشباب منذ مئات السنين، هذا لن يتغير أبداً.

من أقوال إيزابيل الليندي

«الحرب هي تحفة العسكريين الفنية، التي تنقلهم إلى القمة وتمنحهم أعلى الرتب، ووساما ذهبياً. هم لم يخلقوا ليكونوا أبطالاً للسلام»

«أكثر ما يخيفني هو أن أصبح صماء لدرجة أعجز فيها عن سماع الصمت».

«لا وجود للموت، الأشخاص لا يموتون إلا عندما ننساهم، إذا كان في إمكانك تذكري سأكون معك إلى الأبد».

«النازح ينظر إلى الماضي ويتألم، بينما المهاجر ينظر إلى المستقبل مستعداً لاستغلال كل الفرص المتاحة».

غيجير مو بيريس يحاور أستور بيازولا

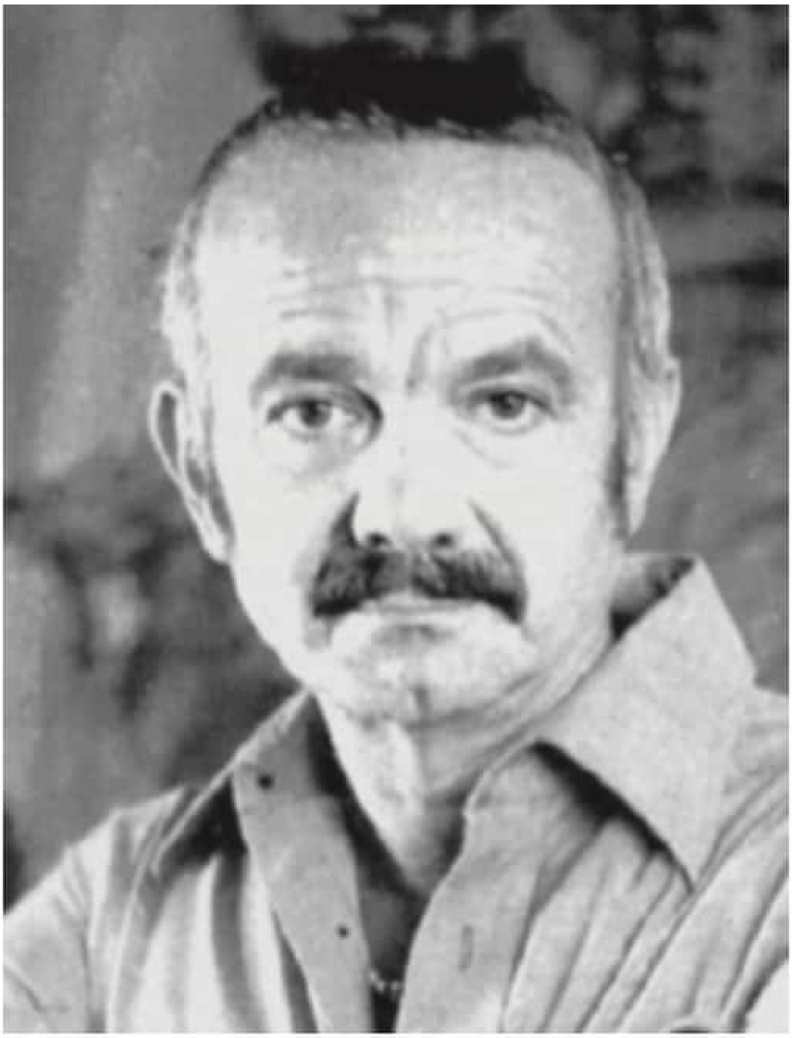

أستور بيازولا (Astor Piazzolla)

أحد أشهر موسيقيي القرن العشرين. ولد في 11/3/1921 في مدينة مار دي بلاتا، مقاطعة بوينوس آريس، في الأرجنتين. درس الموسيقى الكلاسيكية وأعاد تقديم التانغو بشكل معاصر عن طريق إدخال تعديلات إيقاعية مأخوذة من الموسيقى الكلاسيكية والجاز. رشح لجائزة جائزة غرامي مرتين.

سنتعرف من خلال هذا الحوار الذي أجراه الصحفي

المكسيكي "غيجير مو بيريس" على بعض من آرائه ومواقفه كأرجنتيني أولاً، ثم كموسيقي أراد تغيير ما هو سائد على الرغم من العقبات والانتقادات التي وُجِّهت إلى منهجه وفنه المعروف عالمياً.

توفي في العام 1992.

أجريت هذه المقابلة في العام 1984.

مايسترو بيازولا، أنت معروف كملك التانغو، ومع ذلك، يبدو أنك ضد التانغو بنوعه الكلاسيكي على الأقل، هل هذا صحيح؟

لا، ليس صحيحاً، لست ضده. ببساطة أملك نظريتي الخاصة التي تتمثل في صنع موسيقى مختلفة. المشكلة أنه في الأرجنتين يمكن تغيير كل شيء عدا التانغو، ويوم خطر لي التغيير في هذا المجال كان ذلك بمثابة ثورة. كان التانغو يعتبر بمنزلة الدين، تكرار دائم لذات الفعل ضمن حلقة مغلقة لا يمكن الخروج منها. واجهت صعوبات كثيرة عندها وما زلت حتى هذا اليوم، لأن الناس لم تتغير، فالغالبية تفضل المُسلمات على عكس الأقلية دائمة التفكير والبحث.

إذا فأنت تكتب وتعزف لتلك الأقلية التي تعمل عقلها وتبحث عن التغيير، مدركا تبعات ذلك ووقعه على الشريحة العظمى لجمهورك.

حسناً، نعم، عليّ أن أجازف في هذا وأن أمتلك الشجاعة لقوله، عدا عن ذلك فقد مرّ بلدي بأزمات عديدة أدّت إلى تراجع القطاع الثقافي حيث وصل إلى

مستويات هابطة جداً خلال السنوات العشر الماضية، فكان عليّ أن أفعل شيئاً، وإن أنا تابعت في الاتجاه نفسه الذي تنتهجه الغالبية سأجد نفسي متواطئاً في ذلك. أعتقد أن لي شعبيتي ومحبيّ في بلدي وخاصة من فئة الشباب الذين يدعمونني، تلك الفئة التي لا يعجبها القديم والمتكرر، وأعتقد أن مشكلتي الأساسية هي أنني ضدّ كل ما هو سهل ومكرر، إذ أنه من السهل عزف مقطوعات مثل "التشوكلولاتي"، "لا كومبارسيتا"، "أديوس موتشاتشوس"...إلخ فجميعها ألحان كتبت منذ أربعين عاماً. هي جميلة جداً بلا شك، ولكننا في العام 1984 ولا يمكن عزفها فهي قديمة، كما أن اللغة قد اختلفت وعليّ أن أضفي لغة مختلفة إلى الموسيقى لتواكب الشباب الذين يستمعون إلى مايكل جاكسون كما كانوا سابقاً مع البيتلز، لكنهم ما زالوا يستمعون أيضاً إلى بيازولا وليس إلى التانغو القديم لأنه لا يخاطبهم بلغتهم.

يبدو أن لديك ميلا في بعض المناسبات – كما لدى خورخيه لويس بورخيس – إلى انتقاد السلبيات لدى الأرجنتينيين. تقول مثلا: «ليس صحيحا أنكم الأفضل عالميا في كرة القدم، كما أنّ لحومكم ليست الأفضل، فاللحوم أرخص في كندا».

نعم، لأنني أرجنتيني أقول هذا، فلو كنت مكسيكياً أو تشيلياً أو حتى من الأوروغواي لما فعلت، لدي كامل الحق في قول هذا وخصوصاً في هذه الأيام حيث

نعيش حالة من الديمقراطية ونتمتع بالحرية لقول ما نشاء. المجال الوحيد الذي تبرز فيه الأرجنتين عالمياً هو لعبة كرة القدم واللحوم، وخوان مانويل فانجيو (بطل العالم لخمس مرات على التوالي في سباق الفورمولا وان). لكن ذلك كله بلا فائدة، فالمنتخب الوطني يخسر بشكل مستمر بعد فوزه في عام 1978 خلال حكم العسكر. لكن لماذا يتحدثون دائماً عن اللحوم! يقولون إن لدينا أجود أنواع اللحوم على مستوى العالم، لقد أكلت لحوماً ألذ وأرخص بكثير في كندا! ومع ذلك فأنا لا أريد الإساءة للأرجنتين، فبذلك أكون كمن يسيء لأمه، لكني أتكلم عن سلبيات الناس الذين يعيشون على أرضها، فالذين يحطمون الأرجنتين هم الأرجنتينيون أنفسهم، أولئك الذين لا يعملون، المتعصبون لانتماءاتهم والمتعجرفون الذين يعتقدون بأنهم الأفضل في العالم.

أنت كأرجنتيني سافرت حول العالم وتعيش عملياً خارج الأرجنتين، ربما تعلم بأن الصفة العامة للأرجنتينين في أغلب دول العالم بأنهم متعجرفون. هل تعتقد بأن هذا بدأ بالتغير بعد حرب الفوكلاند[1]؟

كنت هناك خلال تلك الحرب ورأيت بنفسي ذلك التغيير، كانوا يقولون: «علينا أن نتغير، علينا الاعتراف بأننا لسنا الأفضل في العالم».

نعم، نقول، ولكننا لا نفعل. ولا أعتقد بإمكانية التغير. الأمر الوحيد الذي أتمنى أن يتغير هو تلك المنافسة بين

البيرونيستا (حزب العدالة الاجتماعية) والراديكاليين. اليمين المتطرف يريد تحطيم الرئيس ألفونصين ويريدون انقلاباً آخر، وإذا نجحوا في ذلك هنا سنخسر أيَّ أمل في التغيير لأن الأرجنتين ستتحطم بشكل كامل.

لديك آراء حاسمة إزاء بعض البلدان، منذ قليل كنت تقول إنك إن سافرت إلى أي مكان وحاولت الدفع بعملة البيزو المكسيكي أو البيزو التشيلي أو الأرجنتيني فسترفض عملتك، أما الدولار ولسوء الحظ فيقبل دائما. بينما لو دفعت بالليرة الإيطالية فسيظنون على الفور بأنها مزورة.

حسناً، هذا ما يفعله الإيطاليون! في إحدى المرات تقاضيت أجر حفلة أقمتها على مسرح روما عملة إيطالية من فئة المئة ليرة، وعندما ذهبت لتصريفها في المطار رفضوا تصريفها لكونها من فئة المئة ليرة خوفاً من أن تكون مزورة، وفي باريس كذلك الأمر. أنا لا أختلق ذلك، وهو ما زال يحدث حتى اليوم. جرب أن تعطي أحدهم عملة إيطالية وسوف يبدأ بفحصها من كل اتجاه ويمكن أن يعضها ليتأكد أنها ليست من الخشب! كما أنك لا تستطيع تصريف عملة البيزو الأرجنتيني في باريس مثلاً، ولا تصريف البيزو المكسيكي في بوينوس آيريس!

عودة إلى التانغو، إلامَ يحتاج التانغو ليكون تانغو حقيقيا؟ في المكسيك قيل سابقا إن التانغو هو "رثاء

الرجل المخدوع"!

هذا ما يقوله البرازيليون أيضاً، ولديهم الحق لأن هذا فعلاً ما مثله التانغو سابقاً، ولا أريد للتانغو الحديث أن يكون على ذلك النحو.

إذاً التانغو ليس بالضرورة أن يكون دراما؟

التانغو ليس بالضرورة أن يكون "بكاءً" كما كان يقول بورخيس، يكفي أن نستمع إلى غارديل يُغني فلا مثيل له، إنه عظيم. ولكن إذا تفحصنا كلمات الأغنيات سنكتشف شيئاً مؤسفاً حقاً، البعض منها وليس كلها، علينا تفحص شكل المقطوعة الموسيقية آنذاك، كيف يمكن التظاهر بأنّ ذلك الشكل من المقطوعات يمكن أن يستمر إلى يومنا هذا؟ كيف سيتجرأ شابٌ في السادسة عشرة من العمر على الخروج لرقص التانغو وسط انتشار الحمى التي واكبت ظهور بلي هيلي والبيتلز ورولينغ ستونز ومايكل جاكسون؟

إذاً فالتانغو التقليدي البسيط ينتهي عندما يبدأ بيازولا؟

بالطبع لا، سيبقى موجوداً إلى الأبد، فلن ننكر أن التانغو "أونو" هو غاية في الروعة، وكذلك بقية أنواع التانغو كلها مهمة، لكنها وجدت يوماً وانتهى، فأنا لا يمكن أن أكون ضد موسيقى "خوان سيباستيان باخ" مثلا فقط لأنه وجد في عام 1600، يجب إظهار الاحترام لمثل أولئك. لكنني إذا استخدمت طريقته في نظم الألحان سأكون مغفلاً!

كان هنالك تعاونٌ بينك وبين غارديل وشاركته التصوير كذلك.

نعم صوّرت معه ومثّلت في الفيلم "يوم تحبينني"، وبالمناسبة لستُ قزماً، فقد اعتقد الجميع بأنني قزمٌ لقصري، لكنني كنت في الثالثة عشرة حينها.

هل اشتركت في أعمال أخرى مع غارديل؟

شاركت معه في عدة مسرحيات خلال إقامتي في نيويورك، وقد طردت عدة مرات من المسرح لكوني تحت السن القانونية حيث لم يكن مسموحاً لي بالانضمام إلى اتحاد موسيقيي نيويورك.

محبو غارديل ومعجبوه يقولون إن أغانيه أصبحت أكثر إتقانا وجمالا بعد التعديلات التي أجريت عليها. هل تعتقد بقانونية هذا الفعل، أم أنه بمثابة تزييف للعمل الأصلي؟

غارديل المسكين لم يكن ليتوقع بأنه سيمتلك كل هذا العدد من الأرامل والورثة الذي يعتاشون من أعماله وأفلامه! إن كل الأرامل الموجودين في المكسيك أم في كولومبيا وفنزويلا وبورتو ريكو وكوبا وكامل أمريكا اللاتينية، وفي الولايات المتحدة وإسبانيا وحتى فرنسا. هؤلاء جميعاً يستخدمونه ويستخدمون ما أنتجه. كان محظوظاً بأن مات شاباً عن عمر يناهز الثامنة والأربعين، لو أنه ما زال على قيد الحياة فأين سيغني! هذه هي المشكلة. المطربون الكبار في بوينوس آيريس يغنون في المطاعم! سيكون من المؤسف جداً رؤية

غارديل يغني في المطعم.

---

(1). حرب قامت في العام 1982 بين الأرجنتين وبريطانيا بسبب النزاع على ملكية جزر الفوكلاند.

من أقوال أستور بيازولا

«الموسيقى هي أكثر الفنون تأثيراً، تدخل الآذان وتصل إلى القلب، هي لغة عالمية للإنسانية».

«لدي شعور بأن أعمالي سوف تسمع في 2020، وفي 3000 أيضاً. أنا متأكد من ذلك لأن الموسيقى التي أعزفها مختلفة وفريدة».

«أحمل الأكورديون كما لو كنت أحمل امرأة بين ذراعي، أدعبه، أربت عليه، تثيرني النغمات لأفعل ذلك».

غابرييل غارسيا ماركيز يحاور بابلو نيرودا

بابلو نيرودا (Pablo Neruda)

اسمه الحقيقي "سيودونيمو دي نيفتاليه ريكاردو ريّس"، ولد في تشيلي في 12/7/1904 وتوفي في 23/9/1973. عمل كدبلوماسي لدولة تشيلي، يعتبر من أشهر أدباء أمريكا الإسبانية على الإطلاق، اشتهر باسم بابلو نيرودا الذي كان يكتب به، والذي اشتقه من اسم الشاعر التشيكي جان نيرودا.

أقام الشاعر التشيلي بابلو نيرودا احتفالا خاصاً بمناسبة فوزه بجائزة نوبل للآداب عام 1971، وذلك في منزله في العاصمة الفرنسية باريس حيث كان

يشغل منصب سفير لبلاده في عاصمة الأنوار، ومن بين المدعوين كان الكاتب والصحافي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز الذي جمعته ونيرودا صداقة حميمة، وقد أجرى هذا الحوار بناء على طلب من الصحافيين الموجودين لتوثيق لقاء نادر بين اثنتين من أبرز الشخصيات التي مثلت أمريكا اللاتينية في العالم خلال القرن العشرين. وقد تم بثه على القناة الوطنية الكولومبية. في هذا التسجيل يظهر الصديقان في جلسة عفوية وعلامات الإرهاق بادية عليهما بعد ثلاثة أيام متتالية قضياها معاً في الحديث عن مختلف المواضيع.

أجري هذا اللقاء في العام 1971.

أرغب في العودة إلى ممارسة العمل الصحافي وبالتحديد كمراسل صحافي، فلدي شعور بأنه كلما تعمق الكاتب في الأدب كلما فقد ارتباطه بالواقع. في المقابل يبقيه العمل الصحافي على تواصل يومي مع الحقيقة الآنية.

إذا كان هذا يحدث للكاتب، أود معرفة رأيك فيما يتعلق بالشعر، هل يأخذك بعيداً عن الحقيقة أو يساعدك على اكتشافها والتعبير عنها؟

يملك الشاعر طريقة معينة في الابتعاد عن الحقيقة المعاشة والحيّة وبشكلٍ خاص شعراء السّنوات الماضية مع بدء القرن الحالي بعد مالارميه (1842-1898) شاعر الرمزيّة والغموض.

شخصياً، أشعر بالغيرة تجاه الروائيين بشكلٍ عام، لامتلاكهم تلك الخاصيّة في التّحكم السرديّ المذهل والقدرة على رواية القصص، وهذا بالضبط ما أهمل في الشعر بعد أن كان منبعاً له في وقت من الأوقات. وإذا كان هناك كاتبٌ ما في هذا العالم - وأرجو أن يعذرني الجميع وأنت أيضاً غابرييل - يجمع في أسلوبه بين التحقيق والاختزال، بين الوقائع الحيّة والخيال، فهو غابرييل غارسيا ماركيز الذي أحاوره في هذه اللحظة.

لديّ شعورٌ ولا أدري إن كان بحكم المهنة أم أنّه تطورٌ يخضع له الكاتب، بأني أميل إلى تحويل السَرد الروائي إلى شعر. وغايتي أن أجد حلولاً شعريّة أكثر منها سرديّة لرواياتي.

على العكس تماماً، فأنا بحثث في فتراتٍ كثيرةٍ خلال حياتي عن طريقةٍ لسرد حكايةٍ ما في شعري. لم تكن تخيفني التجارب، ففي الفترة التي نبذ فيها الجميع الشعر الملحميّ ولم يعد أحدٌ يحاول مجرد المحاولة كتابة شعر كشعر هوميروس ولا كشعر المقاومة الذي تناول قصص لأناسٍ وجدوا يوماً أحبّوا وقاموا. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الشعر التعليمي. قرّرت أن أخوض في ذلك النمط من الشعر رغبةً مني في تعليم شيءٍ ما عبر شعري. والأمر الذي تجد نفسك مشدوداً لفعله من خلال الشعر، بدافع رغباتك وتحولاتك، لدي رغبةٌ في تنفيذه في شعري من خلال السرد. وهذا يمثل جزءاً من عملية التطوّر التي يخضع لها الكاتب، حيث يتوجّب عليه

الخوض في مختلف المجالات.

أعتقد بأننا نستطيع أن نصل إلى عقد اتفاقية سلميَّة هنا، بمعنى أن يصبح الشعراء أكثر "سرديَّة" وأن يصبح الكتّاب أكثر "شعريّة". ونكون أصدقاء وسعداء نحن الروائيون ـ كما أنا الآن ـ لنيلك جائزة نوبل، كما أنتظر أن يكون الشعراء على قدر من السعادة في حال حصول أحد الكتّاب عليها.

أقول لك بصراحة تامة أنّني لطالما شعرتُ بالحسد تجاه الروائيين بسبب عدم قدرتي على سرد الأشياء كما يفعلون، وأنا في حالة تفكيرٍ دائم في كيفية إيجاد كاتبٍ لأحكي له قصصي. وبما أنّك تجد الوسيلة للعيش بعيداً هناك في كولومبيا وفي برشلونة، لهذا فأنا لا أستطيع العثور عليك لأخبرك بأشياء عرفتها أو رأيتها أو حدثت معي.

إنّه لأمرٌ غريبٌ هذا الذي تقول، ففي جميع المناسبات التي نلتقي فيها أو نتناول الطعام معاً تقصُ عليَّ حكاياتٍ رائعة، يكفي أن نضع أمامك ميكرفون لكي تُدون لاحقاً فنحصل على قصص عظيمة.

إذا حدث هذا ودُونت قصصي ستكون فاشلة، وسوف لن يقرأها أحد لأني ببساطة "لا أملك أصابع للبيانو" كما يقول المثل. بالمقابل أقول لك بصدق إنّ الشعر له صعوباته وتحدّياته ومعوّقاته كغيره من الأعمال والهوايات. لهذا أشعر كأنّني سمكة في ماء هذا

النهر أو المحيط الصغير الذي هو الشعر.

تعرفُ أنّي أقرأ الروايات بجميع أنواعها، بل أنا ألوك الروايات، الشعرية والواقعية، وأقرأ روايات بوليسية بالدزينة. لا يمكن الاستغناء عن الرواية بأيّ شكل. ويبدو لي مستغرباً أن يقوم أحدهم عند استقلال القطار بشراء أحد كتبي ليقرأها خلال الرحلة، هذا غير ممكن، طبعاً سأكون سعيداً لو فعل، لكن من البدهي أن ذلك المسافر سيشتري رواية ليكتشف أحداثها. لقد قلت سابقاً إنّ الرواية هي "البفتيك" أو الوجبة الدّسمة في الكتابة، فهي ما يقبل عليه الناس بكثرة.

وإذا كانت الرواية هي "البفتيك" أو الوجبة الدّسمة كما تقول، فماذا يكون الشعر إذاً؟

الشعر شيءٌ مختلف تماماً، هو فعلٌ رائعٌ وجميل، مزيجٌ من الحب والأفعال الناتجة عنه، هو شيءٌ أكثر خصوصية ومحدوديّة. على كلّ حال ما أقوله هنا قابلٌ للنقاش لأني معجب أيضاً بالشعر المتدفق الذي يخوض مجالاتٍ أوسع. والحقيقة أن قراءة الشعر هي بمثابة عملية تواصلٍ سريّة ومتبادلة بين روح الشاعر والشخص الذي يقرأ، وهذا التواصل هو حقيقيٌّ ويُستشعر ككهرباءٍ تعبر الجسد.

لديّ شعورٌ بأنّنا استنفدنا مواضيع النقاش والوقت أيضاً، لذا أرجو أن تجد الطريقة التي تخرجنا فيها من هذا الحديث (متوجهاً إلى المخرج) لأنّ النقاشات الجيدة التي نقوم بها بابلو وأنا تحدث عندما نكون

لوحدنا وليس في هذا الوضع الذي نحن عليه الآن تحاوطنا الكاميرات والميكروفونات وهذا العدد الكبير من الصحافيين.

....

من أقوال بابلو نيرودا

«قبلة واحدة كفيلة أن تكشف كل ما هو مكبوت داخلنا».

«قصير مشوار الحب، طويل درب النسيان».

«يستطيعون قطف الأزهار جميعها، لكنهم عاجزون عن إيقاف الربيع».

«نحن الشعراء نكره الكره ونقيم حرباً على الحرب».

مقابلة خوان رولفو مع خواكين سيرانو
برنامج «في العمق» على القناة الإسبانية

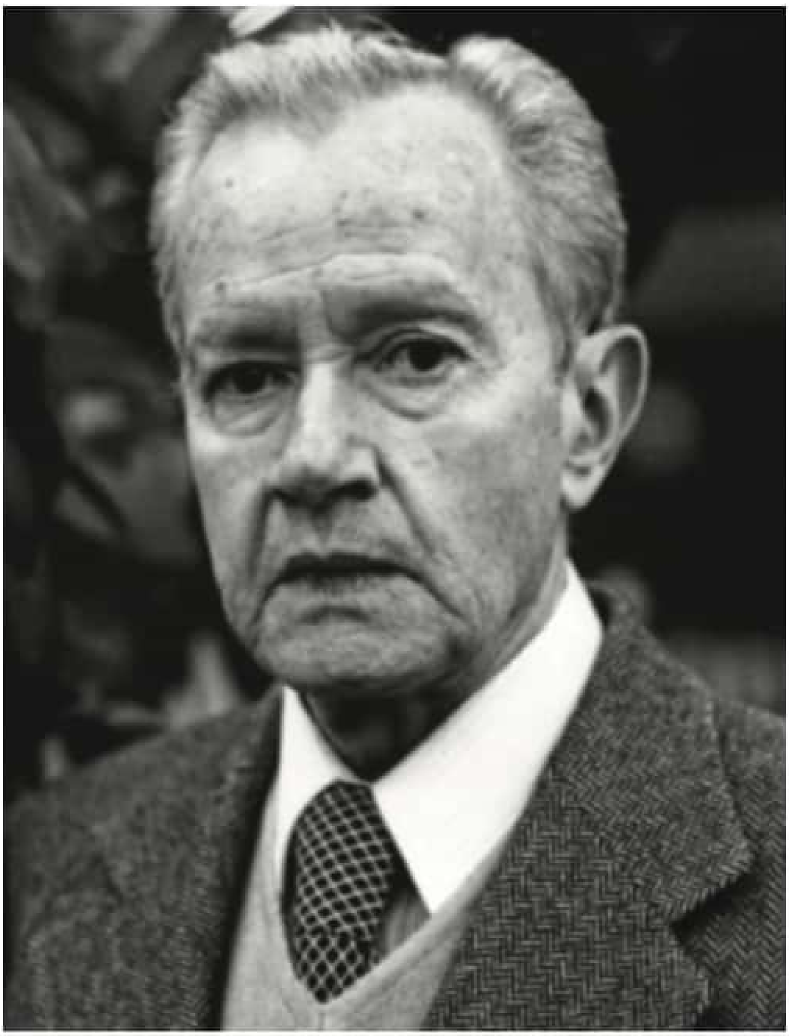

خوان رولفو (Juan Rulfo)

روائي وكاتب سينمائي ولد في المكسيك عام 1917 وتوفي في العام 1986. اشتهر بكتابين، "الحقل الملتهب" وهو مجموعة قصصية، ورواية بعنوان "بيدرو بارامو" التي بيع منها نحو نصف مليون نسخة. وهي رواية نجحت في تقديم خوان رولفو كروائي من الدرجة الأولى على مستوى أمريكا الإسبانية. حصل في عام 1970 على الجائزة الوطنية في العلوم والآداب.

أجري هذا اللقاء في العام 1977.

حدثنا عن أجدادك، أصحاب اللقب "بيرس رولفو".

لقب "بيرس رولفو" هو لقب مركب، هو "رولفو" في الأصل، وهم ينحدرون من إسبانيا حيث قدموا عام 1790 واستقر أحدهم في المكسيك، كان الأكبر بين أخوته ويدعى "خوان ديل رولفو"، وقد تخلى والده عن تربيته وأرسله إلى الدير ليصبح راهباً. وأصبح محارباً في قوات الكاجيخا معروفاً بالكابتن. جدي من جهة أبي كان محامياً، وجدي من جهة أمي كان بنّاء.

تنحدر من منطقة خاليسكو أو ما يدعى بالمنخفضات، من بلد يدعى ساجولا.

نعم من منطقة قريبة من ساجولا وتدعى بولكو، قرب سان غابرييل، وهي قرية صغيرة لا وجود لها على الخريطة، فيها نحو ألفي نسمة فقط. شوارعها متعرجة، وقد ساهم جدي في بناء غالبية المنازل القرية. أذكر الجسر فوق النهر، وكذلك الكنيسة التي بناها أيضاً، هذا كل ما أذكره. بعد ذلك قامت ثورة "الكريستيروس" ضد سياسة العلمانيين في الحكومة والذين اتبعوا سياسات معادية للكنيسة الكاثوليكية، وتركزت وسط غرب المكسيك، وإثر ذلك تم ضم القرى الصغرى إلى المدن الأكبر، ولهذا انتقلنا للعيش في سان غابرييل.

هل كان لثورة كريستيروس أثر سيئ على حياة العائلة؟

نعم، لقد جردتنا الثورة من جميع أملاكنا.

هذه الثورة حدثت بين عامي 1926-1928، هلا

شرحت لنا لماذا سميت بثورة كريستيروس وما هو أصل التسمية؟

ظهرت جماعة كريستيروس بعد أن وضع الدستور المكسيكي العلماني والذي نص في أحد مواده على أن يخصص لكل عشرة آلاف نسمة خوري واحد فقط، وكان هذا سبباً في غضب الشعب. فعمل القسس على إغلاق أبواب الكنائس وخرج الناس إلى الشوارع، في البداية كانت الاحتجاجات بالسلاح الأبيض، ثم بعد ذلك حملوا السلاح ليدافعوا عما سموه "غاية الله المقدسة". بدأت الاحتجاجات في دجاركار، ولعبت النساء دوراً مهماً فيها، فكان يكفي أن تعير المرأة زوجها أو أخاها بأنه مقصر في الدفاع عن "غاية الله المقدسة" لكي يحمل السلاح ويلتحق بالثورة.

تلك المنطقة التي نشأت فيها كان لها أثر في رواياتك فيما بعد، حيث تتحدث فيها عن العنف والاختطاف وانعدام للأمان وأعمال النهب، وكل أنواع العنف التي يمكن للإنسان أن يقترفها.

أجل، في الحقيقة كانت ثورة عنيفة، وأكثر ما ميزها هو أعمال النهب. كانت ثورة غبية بنظري لأن الكاثوليكيين لم يكن لديهم مؤهلات الفوز، وكذلك الفدراليون لم يمتلكوا القوة العسكرية اللازمة للقضاء على أولئك المحاربين. وفي هذه الثورة كان على المرء مواجهة النساء كذلك، فهن من حرضن الرجال على القتال، وهن من خزن السلاح وقمن بنقله من مكان إلى

آخر، فالمرأة قامت بدور الوسيط لنقل، حيث ربطت بين مفهوم الرجولة وشخصية الثائر.

وبسبب حرية التنقل التي تمتعت بها المرأة في الجبال وفي كل الأنحاء خرجت الثورة عن سيطرة الحاكم الفدرالي، ولذلك كان من الصعب القضاء عليها.

في تلك الفترة ظهرت أول بوادر الهجرة في منطقة أنتيخوانا الحدودية إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

نعم، أغلبية المهاجرين كانوا من منطقة أنتيخوانا وميخيكال وخاليسكو.

كانت عائلتك من طبقة ميسورة وقد فقدت جميع أملاكها خلال أحداث الثورة، وكذلك فقد تعرضت لخسارة فادحة بالنسبة إلى طفل آنذاك، إذ فقدت والدك في الأشهر الأولى للثورة.

أجل، بل فقدت جدي وأبي معاً في تلك الأحداث، وبعد ذلك بعدة سنوات توفيت والدتي.

درست في مدرسة الراهبات في غوادالاخارا.

لا، في الحقيقة بدأت دراستي في مدرسة "لاس مونخاس خوسيفيناس دي سان غابرييل"، ولكنها أغلقت إثر قيام ثورة كيستيروس ولهذا انتقلنا إلى غوادالاخارا.

بعد وفاة والديك لم يتبق لديك أحد لكي يتولى رعايتك.

نعم، عشت مع جدتي.

ولهذا عشت بعد ذلك فترة طويلة في أحد دور الأيتام، والذي دعيته مرة بالإصلاحية، هذا صحيح؟

أجل، وكانت الدار الوحيدة الموجودة في غوادالاخارا، وهي أشبه بإصلاحية نعم. كان أغنياء غوادالاخار يدخلون أولادهم هناك لإعادة تأهيلهم، بالنسبة إلينا نحن الأطفال القادمين من القرى كانت الأمور شبه طبيعية، أما بالنسبة إلى أطفال غوادالاخارا فكان الأمر مختلفاً، لأن أهاليهم كانوا يدخلون الدار كوسيلة لعقابهم.

ما الشيء الذي تعلمته، أو تدين به لتلك الفترة الحزينة حقيقة التي عشتها في دار الأيتام تلك؟

الشيء الوحيد الذي تعلمته هو الاكتئاب، لقد كانت تلك الفترة من أكثر فترات حياتي وحدة، وجعلت مني شخصاً منطوياً بعض الشيء. كانت أعواما صعبة، حيث كنا نعاني من العصابات التي يشكلها الأولاد ويتفننون في جعل حياة الجميع كريهة لا تطاق.

يعرفك الجميع كرجل متحفظ وخجول ولديه خوف من مقابلة الجمهور والمعجبين الكثر، هل هذا شعور رافقك منذ فترة إقامتك في دار الأيتام أم أنها صفات أصلية في شخصيتك؟

لا، في الحقيقة هي صفات أصلية في شخصيتي، ولا علاقة لها بتلك الفترة، الخوف أو الرعب الذي ينتابني عندما أجد نفسي فجأة أمام جموع من الناس إنما هو

شيء من طبيعتي وربما أحمله في جيناتي.

هل تجد السعادة في وحدتك؟

بالطبع، لقد تعلمت العيش مع الوحدة، كما لو كانت حباً عظيماً.

في وحدتك هنالك شخصيات تحيط بك، وأكاد أجزم أن لديك أشباحك الخاصة التي تعيش معها وتتحادث وإياها، تلك الشخصيات التي استنبطها من القرية، والهم الكبير الذي تحمله تجاه موضوع العنف الذي يعانيه الإنسان. كل هذا واضح ومتكرر في مؤلفاتك.

نعم، حسناً، العنف أو البيئة العنيفة كانت من تخيلي أنا، فباستثناء الفترة التي عشتها خلال ثورة كريستيروس فأنا لم أتعامل في حياتي مع أشخاص عنيفين. وكل الأماكن التي عشت فيها بعد ذلك كانت هادئة. ولكن الإنسان كان قد بدأ يتغير، صار وكأنه يحمل عنفاً داخلياً كنوع من رد الفعل، ويمكن أن يستخدم عنفه المختبئ ذاك في أية لحظة، وخاصة أولئك الذين انخرطوا في الثورة، وكانوا يودون لو دامت أكثر ليتمكنوا من النهب وارتكاب ما يحلو لهم من جرائم الاعتداء والاغتصاب.

أحياناً كنت ألتقي بأشخاص يبدون مسالمين، لكن في حقيقة الأمر كانوا قتلة متنكرين، من ذاك النوع من الأشخاص الذين يعيشون حيوات متعددة حيث تلاحقهم جرائمهم إلى كل مكان. ومن المثير للفضول

التعرف إلى مثل هؤلاء الأشخاص الذين نعتبرهم هادئين ومسالمين وفجأة نكتشف بأن خلفهم قصصاً لا تنتهي من العنف. وبهذه الطريقة علقت تلك الشخصيات في ذهني، لكني عملت على إعادة خلقها بشكل كلي كما أردتها أنا أن تكون.

العملية التي أتبعها في خلق شخصياتي ليست بالضرورة أن تكون حقيقية، وليست متخيلة أيضاً، العنصر الحقيقي الوحيد في شخصياتي هو المكان أو الموقع الذي تجري فيه الأحداث، ويتبع ذلك اللهجة وطريقة التعبير لدى الشخصيات.

تحاول في كتاباتك قول ما تريده باختصار دون استعمال صفات كثيرة، وتصف الطبيعة في مشاهدك بحرفية عالية وسحر غريب.

حسناً، شكراً لهذا! في الحقيقة رغب كثر في التقاط صور لأحد الأمكنة المذكورة في مؤلفاتي فلم يجدوها على الواقع كما وصفتها، كذلك الشخصيات لم يستطيعوا إيجادها، فشخصياتي جميعها بلا وجوه. حسناً، إنهم أناس كغيرهم من البشر الموجودين في أي مكان آخر في العالم.

درست المرحلة الابتدائية في مدرسة غوادالاخارا ثم بعد ذلك درست المحاسبة، لماذا اخترت هذا الاختصاص بالذات؟

في ذلك الوقت كانت دراسة المحاسبة بمثابة العكاز أو الداعم، فهو اختصاص يمكنك من العمل ومن متابعة

الدراسة في مجال آخر.

في العام 1933 كنت في الخامسة عشرة من العمر حين انتقلت إلى مدينة مكسيكو وعملت في عدة وظائف غريبة، حدثنا عنها.

نعم، عملت موظفاً في قسم الهجرة، كان ذلك في عام 1935، واستمررت فيها طوال عشر سنوات. وأيضاً عملت كمحصّل للإيجار، وكنت أدرس خلال ذلك في الجامعة في قسم الفلسفة واللغة.

وماذا كان عملك في قسم الهجرة تحديدا؟

كان عملي ينحصر في ملاحقة المهاجرين غير الشرعيين.

يقال إن حماسا أدبيا تملكك عام 1940، فأمسكت بالريشة وبدأت بتأليف رواية حول المكسيك، لكنك انتهيت إلى إحراقها والتخلص منها، أهذا صحيح؟

أجل، لقد قمت بذلك، كانت روايتي الأولى.

لماذا تخلصت منها، ألم تكن راضيا عنها؟

لقد كانت رديئة، مباشرة وبلاغية ومليئة بالأخطاء الإملائية والأدبية كذلك، تلك الأخطاء المعروفة لدى الكتّاب الجدد. كنت قد أطلعت "خوان ريخانو" على فصل منها بغرض نشرها في إحدى جرائد الجمهوريين الإسبان حيث كان يعمل كمحرر فيها، لكنه لم ينشرها قط، ربما لكونه شريراً لا أدري. لكن مما لا شك فيه أنها كانت رواية رديئة.

في عام 1942 ظهرت إلى النور قصتك الأولى وكانت بعنوان "الحياة ليست جدية" التي نشرت في مجلة ايميليكا في غواداخارا. وفي عام 1947 ظهرت قصة أخرى بعنوان "أعادوا أرضنا" والتي جمعتها في ما بعد في مجموعتك القصصية "الحقل الملتهب". وفي عام 1953 أصدرت كتاب "الحقل الملتهب" الذي يحتوي خمس عشرة قصة. وقد صدر منه حتى هذا اليوم 400 ألف نسخة مترجمة، وهو رقم مذهل حقاً بالنسبة إلى مجموعة قصصية، وقد حقق رقماً قياسياً في تاريخ الأدب القصصي المكتوب باللغة الإسبانية.

نعم، لقد حدث ذلك.

وماذا كان شعورك عندما أدركت نجاح هذا الكتاب، وأن لديك تلك القدرة العظيمة على الوصول إلى القراء؟

في بادئ الأمر شعرت بإحباط شديد، سيما وأن الطبعات الأولى لم تنل الإقبال ولم تحقق مبيعات جيدة. كانت الطبعة الأولى عبارة عن ألفين من النسخ، أما الثانية فكانت أربعة آلاف نسخة، كنت أهدي أغلبها للمعارف والأصدقاء، والنسخ التي عرفت وقرأت كانت تلك التي قمت بتوزيعها وإهدائها، وبعدها بدأ الناس بالإقبال على قراءة الكتاب والبحث عنه.

ترجم كتاب "الحقل الملتهب" إلى عدة لغات، أحدث الترجمات كانت للألمانية والتي عرضت هذا العام في معرض الكتاب في فرانكفورت.

لنتحدث قليلاً عن "بيدرو بارامو" هل أنت راض تماماً عن هذا العمل؟

حسناً، لقد نسيت بعض أحداثها، أصبحت من الماضي، لقد واجهت الأجيال الجديدة صعوبة في فهمها، والحقيقة أنا كذلك واجهت تلك الصعوبة بينما كنت أكتبها، شخصياً أعتبرها رواية صعبة ولكنها كتبت بهذا الغرض، فإذا كنت في حاجة إلى أن تقرأها ثلاث مرات لفهمها فافعل ذلك. وكما قلت سابقاً فإن جيلي لم يفهمها ولم يعتبرها رواية مهمة على الإطلاق، بينما استطاعت الأجيال الحديثة أن تفهمها بشكل أفضل.

قيل إن الحبكة كانت معقدة بعض الشيء وتذكر بأعمال فوكنر، وقيل إنك اتبعت فيها طريقة خاصة للسرد بحيث كانت الحكاية تنطلق إلى الأمام ثم تعود إلى الخلف وتنبثق بشكل جانبي، وهو حقيقة أسلوب ميكافيلي في السرد.

"كم هو جريح هذا الوقت! كم هو مشوه هذا الفضاء!"، كانت روايتي عن أموات وأشباح أخفيها ثم أعيدها لتظهر مجدداً، وما زالت رواية صعبة ومعقدة.

ومن ناحية البناء الروائي، من هم بنظرك أبرز كتاب أمريكا الإسبانية ممن تعجبك أعمالهم؟

هناك على سبيل المثال "خوان كارلوس أونيتي" و"أرتورو سويلا" وهو كاتب مكسيكي شاب ما زال في البدايات، وإذا تحدثنا عن تكنيك سرد حديث ومعقد خاصة استخدام لغة جديدة، أذكر "سالفادور أليسوندو".

وفي إسبانية تعجبني أعمال "سانشيث فيرلوسيو" و"خوان مارسيه".

ومن يعجبك من كتاب أمريكا اللاتينية؟

أنا معجب حقيقة بخوليو كورتاثار، هو كاتب عميق جداً ويمكن للمرء أن يتعلم الكثير منه، كما أنه يتمتع بتكنيك سرد معقد، وقصصه القصيرة بسيطة ومدهشة.

من أقوال خوان رولفو

«الكاتب المبدع هو كاذب بالضرورة، فالكتابة كذبة تولد الحقيقة، إعادة خلق الواقع هو من البدهيات الأساسية للإبداع».

«الوقت هو أثقل من أثقل الأحمال التي يمكن للإنسان تحملها».

«لا شيء يدوم طويلاً، ليس هناك اتفاق مهما بلغت متانته لا يتلاشى مع الوقت».

«كل تنهيدة هي بمثابة رشفة حياة تخرج منا ببطء».

أمل فارس:

كاتبة ومترجمة عن اللغة الإسبانية، تنشر في عدد من الصحف والمواقع الإلكترونية العربية.